الابستيمولوجيا والعلوم الإنسانية
في ضوء المشروعات المطروحة

د.عبدالكريم عبدالله بالقاسم
أستاذ شرف، جامعة بنغازي، كلية الآداب، قسم الفلسفة
رئيس جامعة البحر المتوسط الدولية

تاريخ الاستلام: 2022/11/22 **؛ تاريخ القبول :** 2022/12/18

الملخص:
يبدأ البحث في تحديد مفهوم الابستيمولوجيا التي حصل حولها خلاف بين أن تكون نظرية في المعرفة أو أنها معرفة لكنها غير تقليدية، أو أنها هي معرفة تهتم بالجانب العلمي المعرفي ودون أن تكون نظرية في المعرفة مستقلة، وتعريجا على أصل اللفظ وجدت انه ينتمي إلي :
العلم، النقد، المعرفة، الدراسة والبحث، النظرية، إلي أن تكون علم العلوم، والمعرفة النقدية للعلوم ، وفلسفة العلوم، مع محاولة بيان علائقها بفلسفة العلوم والمثيودولوجيا وغيرها، ومن هذا التشابك بينها وبين مفاهيم عديدة أخري حدى بالمؤرخين أن يصرحوا بأن كل ذلك يدور في فلك المعرفة، سواء سميناها ابسييمولوجيا أو كنزولوجيا أو علم المعايير والنقد، أو المنطق كبيرا وصغيرا، أو يقينا طالما أن البحث الذي تقوم به بشكل أو بآخر ما هو إلا شرط للمعرفة البشرية في حدودها وأبعادها وقيمتها، وأنها المتعقبة والمتشعبة للمسار العلمي في تحليله بالوصف بغض النظر عن صياغتها المنطقية، فمهمتها هي تحليلية وصفية لبيان وتوضيح مواطن الكشف العلمي والإنشطار الثقافي المعرفي في العلاقة بين الفكر والواقع، وفي سياق العملية العلمية التي تهدف منها إلي الرقي بها حتى تكون علمية سواء كانت تطبيقية أو علوماً إنسانية، مما حدى بنا إلي توضيح مبسط إلي علائقها وارتباطها بالعلوم المختلفة :– فلسفة العلم، الوضعية، تاريخ العلوم، الفلسفة، علم النفس، والاجتماع وغيرها، ومن هذا قرر علماء الابستيمولوجيا أنها لابد وأن تنفصل عن الفلسفة التقليدية التي إن عاشت في كنفها استغلتها لصالحها، لهذا رأت الابستيمولوجيا فصل مشكلاتها عن الفلسفة بغية إيجاد حلول لها وهذا ما سلكته ابستيمولوجيا العلوم الإنسانية في منهجها فصارت بذلك علوماً قائمة بذاتها، وهذا ما جعلنا نركز على توضيح علاقتها بالمعرفة التقليدية بمثال (افلاطون plato 348 ق م– ديكارت Dscarte 1950 م – كنت Kant 1804م) التي اتضح

منها كيف كانت الابسيتمولوجيا (كمعرفة علمية دقيقة) مهيمن عليها لصالح النسق الفلسفي وأخرجها في كثير من مناحيها عن نطاق الممارسة العلمية .

وطالما أن هذا الاتجاه لا تقبله الابستيمولوجيا العلمية الدقيقة كان لزاماً أن نوضح ما هي الابستيمولوجيا البلاشلارية في فلسفته المفتوحة، وتحديدها باعتباره من أكبر الابستيمولوجين العلميين الذي طور هذا المفهوم المعرفي، إلي بيان العوائق المعرفية، ثم القطيعة الابستيمولوجية فيها، وهما من منهاجها التي تحتاجها العلوم الإنسانية في تطورها، ولا يعتبر فقط (باشلار Bachelard 1962م) الذي توجه بها توجها علميا انطلاقاً من علمه الفيزيائي ولكن اشتهر (فردناد كونزرت F.conseth 1975م) في الرياضيات و (جان بياجيه Piajet 1980م) في علم النفس التكويني المعرفي، و (كانغليم Kanjhelim 1995م) في البيولوجيا وغيرهم كثير مثل (بلانشي 1975Planchil م، فنجتيشين Wittajenestion 1951م، التوسير Althusser 1990م ، كارناب Carnap 1910م ، برنشفنج Brunschricj 1944م ، تشومسكي Shomsky ، شتروسStrouss 2009م) وغيرهم كثير وعقبنا في تناظر مع (باشلار) و (بياجية) في علم النفس التكويني المعرفي باعتباره الأقرب للعلوم الانسانية استفادة من بعض قواعده الابستيمولوجية لاسيما في تعاون الابسيتمولوجيا التكوينية لديه بغيرها من علوم.

ثم وصلنا إلي علاقة الابسيتيمولوجيا بالعلوم الإنسانية، وهذا دخلنا إليه من خلال تعريف وتحديد ماهية العلوم الإنسانية أولا ، ثم بيان أن الابستيمولوجيا لا تختص فقط بالعلوم التطبيقية وكفى ولكن هذا يتضح في علاقتها بالعلوم الإنسانية، كما أكد ذلك الابستيمولوجين أنفسهم من خلال بحثهم في العديد من فروع علوم الإنسان، كعلم النفس والاجتماع واللغة والفلسفة وغيرها، مع توضيح بعض القواعد الابستيمولوجية التي قيل أنها من العلوم التطبيقية مثل المنهج التجريبي، البنيوية، التفسير والتحليل، الاستقراء وغيرها، ومحاولة بيان دخولها في العلوم الإنسانية وبذا نحاول أن نرفع الغبن الذي أصاب العلوم الإنسانية ووصفت بالتخلف.

لذا حاولنا أن نطلق العنان لبعض المفاهيم الابستيمولوجية المتخذة نبراساً لإحياء العلوم الإنسانية في المشاريع المطروحة الآن، والتلميح لها بصورة مبسطة، مشروع الجابري 2010م، و حنفي 2021م، وطيب تبزيني2019م، حسين مروة 1987م، ادونيس، وغيرها، وبذا نختم القول بالمطالبة بإنزال البحث الابستيمولوجي في صياغته العلمية الدقيقة ومنهجيته على العلوم الإنسانية إذا أردنا لها الإزدهار والإنطلاق إلي مصاف العلمية والتقدم، مع بعض التوصيات الواجبة في مجالها.

Abstract:
The topic examines the concept of epistemology, its mission, and its relationship to traditional knowledge.
Its connection with the various science, causes it to become a sign of accurate scientific knowledge in the philosophy of science and others. Personally, I benefited from epistemology which was clearly presented in the research of the human sciences. I explained how these sciences were studied in the studies presented in their light.

الابستمولوجيا والعلوم الإنسانية

في ضوء المشروعات المطروحة

هذا المصطلح شابة غموض لإنتمائه للفكر الحر الفلسفي المبني على الفكر الحر أيضا، لذا تلون وتطور معه وهكذا أتسع وضاق المفهوم كثيراً، فاعتبرها بعضهم نظرية معرفية وبعضهم الآخر معرفة علمية دقيقة، إلى من يجعلها بديلاً عن المعرفة التقليدية، لكنها ليست نظرية مستقلة رغم أنها فرعاً من الفلسفة، ولا يهم أن يكون هناك فارقاً طالماً أنها تبحث وبشكل دقيق في المعرفة العلمية الدقيقة باحثة في أصل المعرفة وتكوينها ومناهجها كما يذكر (رونز Rownss)، وإذا ما ألقينا نظرة على اللفظ في حد ذاته وجدناه يرجع إلى المعرفة فقط Episte يوناني الأصل يفيد معناه (العلم) وكذا Logos علم، نقد، نظرية، دراسة، بحث، وما تركب منهم في سياق الاشتقاق اللغوي تكون هي (علم العلوم) أو الدراسة النقدية للعلوم، وفلسفة العلوم، أي أنها دراسة مباديء العلوم وفرضياتها ونتائجها دراسة نقدية، وتُوصل إلى إظهار أصلها المنطقي وقيمتها الموضوعية، وهي بهذا لها اختلاف عن دراسة طرق العلوم وعن دراسة تركيب القوانين العلمية، فالأولى قسم من المنطق التطبيقي، والثانية تتبع الفلسفة الوضعية أو فلسفة التطور، وتعتبر الإيبستمولوجيا وهي مدخل ضروري لنظرية المعرفة، لأنها تبحث في المعرفة من جهة ما هي بنية في وحدة الفكر كما هو الحال في نظرية المعرفة، بل لكونها تبحث فيها من جهة أنها معرفة بعدية مفصلة على أبعاد العلوم وأبعاد موضوعاتها[1] لهذا نرى أن أندريه لالاند (A.Lalande + 1963م) في تعريفه لها يحتاط في هذا التعريف مع بعض الدراسات ذات العلاقة بالمعرفة الإنسانية محاولاً تحديد هويتها خوفاً من الخلط بينها، لما لها من تداخل فهو يقول :- (تعني هذه الكلمة فلسفة العلوم، ولكن بمعنى أكثر دقة فهي ليست دراسة خاصة لمناهج العلوم، لأن هذه الدراسة موضوعاً للميثالوجيا وهي جزء من المنطق كما أنها ليست أيضاً تركيباً وتوقعاً حدسياً للقوانين العلمية على طريقة الوضعيين، إنها بصفة جوهرية الدراسة النقدية للمبادئ والفرضيات والنتائج العلمية، الدراسة الهادفة إلى بيان أصلها المنطقي لا النفسي وقيمتها الموضوعية، وينبغي أن نميز الايبستمولوجيا عن نظرية المعرفة بالرغم من أنها تمهيد لها وعمل مساعد لا غنى عنه من حيث أنها تدرس المعرفة بتفصيل وبكيفية بعدية في تنوع العلوم والموضوعات لا في وحدة الفكر)[2] ويتضح أنه كان حريصاً على التميز بين الايبستمولوجيا من جهة وبين الميثودلوجيا Methodology وفلسفة العلوم Philosophy of Scienes [3] بمعناها العام ولم يشر إلى نظرية المعرفة وإن كانت تمهيداً لها لاختلافها في نظره ونظر الفرنسيين

عموماً عنها في معناها الدقيق، جعله الميثودلوجيا من المنطق هو مجاراة لما كان في وقته وإلى وقت قريب فقد كان ينظر للمنطق على أنه قسمان : منطق عام وهو الصوري الذي لا يهتم بمادة المعرفة بل بصورتها، ومنطق خاص أو التطبيقي الذي يدرس المناهج الخاصة بكل علم، أما في العصر الحاضر فقد استقلت الميثودلوجيا بنفسها لتكون علماً خاصاً أطلق عليه علم المناهج، وأصبح المنطق منطقاً واحداً هو الصوري في شكليته المحدثة.

* علاقتها بغيرها من علوم : كما يلاحظ أيضاً صعوبة الفواصل المحددة والواضحة بين الإيبستمولوجيا وبين غيرها من علوم مشابهة وذات علاقة بها لأنها في الغالب مسائل ذات صلة وطيدة بالميثودلوجيا، المنطق فلسفة العلوم ، ونظرية المعرفة على فرض الرؤيا في الإنقسام في الفكرة والتعريف، مما جعل كثيرين يُصرحون بواقع هذا التشابك والتداخل تنوع التسمية ودورانها في فلك واحد ألا وهو المعرفة، سواء اسميناها منطقاً خاصاً أو منطقاً كبيراً، أو نظرية اليقين، أو نظرية المعرفة، أو ابيستمولوجيا، أو كنزولوجيا، أو علم المعايير، أو النقد، فإن البحث الذي تقوم به هدفه بشكل أو بآخر في صيغته الدائمة ما هو إلا شروط للمعرفة البشرية في حدودها وأبعادها وقيمتها[4] وهذا سببه بالفعل وجود ذلك التداخل والعلاقة الوطيدة بين ما ذكر فكلاهما تسلم للأخرى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فالنقد مثلاً لنتائج العلوم لا يكون دون التعرف على مناهجها وذلك التعرف والتدقيق فيها هو من مهام الميثودلوجيا، والنقد كذلك يسلمنا ويدخلنا إلى دائرة فلسفة العلوم الذي له صلة ومساس بنظرية المعرفة وعلى الخصوص في بحثها عن النتائج الصحيحة ويقينيتها، ليبقى التميز بينها من ضرورات المنهج العلمي لتحديد معالم الإيبستمولوجيا، خاصة وهي في دور المحاولة لكي تصبح علماً مستقلاً بذاته ، لهذا تعرض تعريف (لالاند) لها لمناقشات عديدة ونقد من المفكرين، من أنه احتوى تعريفه على جانبين، تناول في الجانب الأول الايبستمولوجيا بما ليست هي، فهي لم تعتبر علم مناهج بحث، أو فلسفة وضعية في نظرتها للعلم، هذا من جهة ثم أنه في الجانب الثاني من تعريفه فإنه قد حددها بمكوناتها في صورة مضيقة حين اعتبرها أنها فلسفة علوم أو أنها تعتمد على المنطق دون أي شيء آخر في نقدها للعلم وتحليله، لهذا أُعتبر رغم أن به وضوحاً نسبياً عنها فهو غير كافٍ للتحديد، مما جعل الكثير يتهيب من تعريفها على كثرة المؤلفات فيها، السبب الذي أرجعه بعضهم إلى اتساع الهوة بين الفلسفة والعلم، ويؤكد أخرون على أن ما قدم فيها ما هى إلا برامج أما الإنجاز الفعلي فهو قليل، كما يصوره غيرهم بأنه مجانب للدقة فيها عند (لالاند) سببه عدم تصور ما أثبته من علاقاتها بغيرها، عدم فهم تلك العلاقات على وجه الدقة لما جر إلى عدم تحديدها تحديداً يتسم بالدقة[5].

وعودة للتعريف فإنا نجد أن (لالاند) اعتبرها ليست دراسة لمناهج العلوم[6] كما لوحظ في جعلها جزءاً من المنطق فإذا كانت مناهج العلوم هي دراسة وصفية تخطيطية للعالم يتخذها نبراساً يسير عليه، فإن الإيبستمولوجيا دراسة نقدية تحليلية في مناح عدة منها، من هذا الجانب يمكن أن يكون هناك تمايزاً بينها، وإن كان في حقيقة الأمر تباعداً وانفكاكاً يمكن أن ينذر بفصل تام بينهما، وبما أن العلوم فيما بينها تختلف منهجاً وتتمايز موضوعاً فمن هنا يمكن القول أن كل علم له منهجه الخاص الذي يحدده موضوع تناوله، ولا يقال عن منهج عام لكل العلوم، كما أن المناهج الميثودلوجيا لا تكون سابقة على العمل العلمي بمعنى أنها لاحقة فهي لا تحدد طريق العالم أو تخطط له مساره العلمي، وإن كانت تتعقب وتتبع عمله التحليلي بالوصف، بغض النظر عن صياغتها المنطقية، فمهمتها إذن تحليلية وصفية لبيان وتوضيح مواطن الكشف العلمي والإنشطار المعرفي في العلاقة بين الفكر والواقع في سياق العملية العلمية[7].

و الايبستمولوجيا نقدية للمناهج والنتائج والأسس التي أقيمت عليها تلك النتائج فهي بذا أعم وأعمق من التحليل الوصفي إلى الغوص في أعماق الفكر العلمي ذاته، وما تكمن فيه من نتائج واستخلاصها دون تبعية لأي علائق أخرى إلا من ذاتها بطريق نقدي، لأن نتائج العلم غالباً ما تكون ناتجة عن أزمات فيه، وقد تظهر نتيجة أخطاء في المناهج، عندها يكون المجال مفتوحاً لتدخل الايبستمولوجيا لمعالجة ما يشوبه من أخطاء وكذا تكشف عن مناهج ونتائج مستجدة ، لهذا لا غنى للايبستمولوجي عن المناهج في مرحلته النقدية عن تلك العلوم[8] فالعلاقة بين الاثنين وثيقة الصلة وابتعادهما بالكلية بعيد، كما أن جعله لمناهج العلوم جزءاً من المنطق الذي لم يعد يشملها في العصر الحاضر هو إيماء لعدم الإنفصال بينها وبين الايبستمولوجيا والمنطق، لأن البحث في المناهج الإستدلالية كما هو الحال في العلوم الرياضية تسلم إلى علاقة ذات صلة بالمنطق والايبستمولوجيا الرياضية، وكذا دراسة المنهج التجريبي في الفيزياء والبيولوجيا فإنها تُدخل الباحث إلى ابيستمولوجيا تلك العلوم ومنطقها، ولعل هذا ما حدى بالمؤرخين إلى التصريح بأن الايبستمولوجيين ومنهم (بياجي G.Piaget ، 1980م) حين يتعرضون لمناهج العلوم في مؤلفاتهم يتعرضون أيضاً للايبستمولوجيا والمنطق معاً[9]، ولعل هذا هو ما رمى إليه (الجابري) من معنى في قوله:- (إن الإيبستمولوجيا هي ميثودولوجيا من الدرجة الثانية)[10].

وبجانب هذه العلائق نجدها في ارتباط بفلسفة العلوم وتاريخها رغم ما يشوب هذا المعنى من غموض، لأن كل ما يُنظر فيه إلى العلم في المنهج والمنطق والقوانين والفروض الخاصة فهو فلسفة علم، لذا اختلفت النظرة إليه وتحديده[11]، وهذا ما اهتمت به الوضعية على يد (أوجست كونت A.Conte 1857م) فمع اهتمامه بتصنيف العلوم، حرر العقل بالقوانين الثلاثة حتى أصبح لا يرى اليقين إلا في

التجريب، ورأى أن العلوم لا يمكن أن تبقى بعيدة عن بعضها البعض ولا يدري المتخصص في علم ما يجري في العلم الآخر، ولذا يجب أن نقف في وجه الميتافيزيقا وأن يرتقي بالعلم إلى فلسفته، وتكون هي البديل العلمي الوضعي للميتافيزيقا بمناهجها وبحثها الاجتماعي، وتكون هذه الفلسفة قادرة على إنشاء تركيبات من القوانين التي تنشأ من إدراك العلاقات الناشئة من جملة الحوادث المختلفة، وهذا ما استلهمته الوضعية المنطقية الجديدة التي دعت إلى أن يكون التفكير الفلسفي قاصراً على تحديد وبحث دلالات الألفاظ التي تعبر بها العلوم بمعيار منطقي دقيق وصارم حتى تنفض عنها غبار الميتافيزيقا لكي يمكن إقامة فلسفة علمية دقيقة، من أهدافها إنشاء فلسفة بديلة محورها الطبيعة والكون والإنسان وتبنت أن تكون المعرفة علمية وحسب(12)، فهل ما قامت به الوضعية هي الإيبستمولوجيا العلمية كما أريد لها أن تكون؟ لا نعتقد أنهم وفقوا في فلسفة العلم التي جاهدوا أن يصلوا إليها فهم في نظر كثير من مؤرخي المعرفة قصّروا عن الوصول إلى روح العلم الجديدة ومواكبته المتفتحة على الرغم من متابعتهم لحركته ونشاطه، وهذا أرجعه بعضهم إلى بعض المطاعن التي توجهت لمسيرتهم، أولاً : أنهم في فلسفتهم العلمية حاولوا تطبيق مفاهيم ميتافيزيقيا على العلم مستخلصين بعض القضايا الأخلاقية منه، ولم يتوجهوا إلى المعرفة العلمية لذاتها بل للحصول على أدلة تؤيد ميتافيزيقاهم وإثبات نظريات مسبقة للعلم وهذا ما يلمس عند (أميرسون ، Amiersom 1882م)، ونظروا كذلك لتاريخ العلوم ككل التواريخ مستمر بانسجام، ولم ينظر فيه لانقطاعات تؤثر في سيرة الايبستمولوجي كما كان عند (برانشفيك Brunschvicg 1944) (13)، وثاني المناقد : أنهم تحدثوا عن العلم بصفة المفرد أو الإفراد وليس العلوم فذكروا منهج العلم ومنطقه وتاريخه، وكأنه لم يكن هناك علوم لها تخصصات متباينة ودراسات نخصها وتواريخ وأهداف ومناهج تخصها كلاّ على حدة، لأن العلم ليس واحداً من حيث الموضوع والمنهج والتاريخ، كما أنه ليس هناك علم بمعنى عام بل انساق تتمتع بفسحة من الاستقلالية، وتجاهلوا مع ذلك التطور التاريخي لمختلف المعارف كما نظروا إليها على أنها تشكل كلاً واحداً له موضوع واحد.

ثالثها : بقاؤهم آسارى المفهوم الوضعي الإختباري عن العلوم، فسبحت المعرفة عندهم في بحر المعرفة العادية، ولم يجعلوا فارقاً بين الإثنين فمبدأ العلية والهوية يقوم في هذا المجال والأخر انطلاقاً من العلم ما هو إلا بادئ الرأي قد وجد بطريقة لا شعورية، أي أنه يتخذ نفس الموقف الذي يتخذه بادئ الأمر وكذلك معارفنا العلمية، وذلك دون إدراك لما تجاوزته المعرفة العلمية والعلم من ثورات وانشطارات تؤكد – كما عند (باشلار Bacchelard 1962م) الفصل بين المعرفتين العادية والعلمية وتجاوز مراحل العصور الثلاثة إلى ما هو أبعد من خصائص المادة وتحليل الظواهر الكهربية وغيرها مما تعجز عنه آلية المعرفة العادية وأجهزتها، لذا يقال أن فلسفة العلم كانت تقود المعارف نحو فلسفة عامة، فلسفة تلتصق بالعلوم

وهي تورد بعض عيوب نظريات تقليدية نظرت للعلم من خارجه لا من داخله، وهي عيوب حاول الوضعيون الجدد تجاوزها[14]، إلا أن الوضعية تبقى بفلسفتها ذات التقاء بالايبستمولوجيا في كونها تابعة للعمل العلمي، وهي التي لا تعني عندهم إلا أنها ذات اختصاص علمي جديد حسب مقتضيات الحالة الوضعية، وهذا ما يميز موقف الوضعي عن الايبستمولوجي والمعرفي التقليدي، وبهذا التقارب والإلتقاء يمكن اعتباره ممهداً لها في ضوء ما وضع وحدد من شروط لصاحب الفلسفة الوضعية، الذي يكون على أقل التقادير أنه عالم له إلمام واطلاع على نتائج العلم، وإن كان ليس اختصاصه جزئيات العلم بل عمومياته عند الوضعي، فالثقافة العلمية المشروطة له تجعله يلتقي مع ما يكون عند الايبستمولوجي كما أكد عليها (باشلار وبياجيه) وغيرهم، وإن كان هذا لا يوحي بالإنفصال أو التضاد فإنه أيضاً لا يوحي بالتطابق بينها[15]، وبين الايبستمولوجيا، وإذا أراد الوضعي أن يكون ايبستمولوجياً كما يذكر(باشلار) : أن يستوفي كل دروس العلم المعاصر، وأن يتخذ الطريق المعاكس لهذا المبدأ الايبستمولوجي، وعليه مناهضة تاريخية التجربة بل وتاريخية ما هو عقلاني، وإذا وعى الفكر هذه المهمة في إعادة تنظيم معرفته لكي تسجل به المعطيات التاريخية الأولية في لبه، ويكون حقيقة الوعي العقلاني جديد تماماً، أنه وعي يحكم معرفته ويتعالى عن أخطاء النزعة التجريبية، وعلى الفلسفة الوضعية (فلسفة العلوم) أن تعي ثلاث أسس : الموضوعية العقلية، والموضوعية التقنية، والموضوعية المجتمعية، وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً، وأن إهمال أحدها في الثقافة العلمية الحديثة تدخلنا إلى مجال الطوباوية[16] لهذا قيل عن فلاسفة العلم أنهم لم يتبينوا الجدة التي أصابت المعرفة العلمية وهزتها من أساسها وظلوا على ذلك يعتبرونها امتداداً للمعرفة الاختبارية، ولم يقيموا معرفة علمية بمعناها التطبيقي، وهذا سببه ترعرع المعرفة العلمية تحت أنساق فلسفية أثرت فيها، لكن الايبستمولوجيا كما يراد لها هي التي تولي ظهرها للفلسفات التقليدية لتكون فلسفة علمية، يمكن أن يطلق عليها كما يقول (باشلار) : فلسفة مفتوحة، إنها وهي فكر بنفسها وهي تؤسس ذاتها من خلال عملها في الكشف عن المجهول وبحثها في الواقع عما يتنافر والمعارف السابقة، فإنها تريد أن تكون مفتوحة لتبرز القيم المتجددة في العلم[17].

إن نظرة الايبستمولوجيا التي لا تريد للفلسفات أن تستغلها لصالحها أو أنها تهيمن على العلم وحدّت من طموحاته وتجدده، ووقفت حجر عثرة في سبيل تقدمه وانطلاقه إلى رحاب المعرفة العلمية الواسع، وربطه من ثم بخيوط النسق الفلسفي النامي في ربوعه، وليس معنى ذلك أن العلم سينفصل تماماً عن التيار الفلسفي، لأنه في الواقع لا ينمو علم في الخلاء، فهو ينمو داخل التيار الفلسفي أي داخل مبادئ وأسس أولية بديهية تعد من مجال الفلسفة، الفلسفة العلمية لما بينهما من نشاط في العلم[18] وهي في ذات الوقت تحاول أن تبتعد عن التيارات الفلسفية التي جاءت بدورها للحد من طموح العلم، لأن العلم في ذاته ومن

ذاته يخلق فلسفة وكل تقدم له ينتج تبعاً لهذا التطور أنساقاً فلسفية متجددة في محاولة لزعزعة أركان الفلسفات التقليدية، إلا أن هذه الفلسفة العلمية في محاولتها تلك لا تستبدل فلسفة مكان أخرى، لكنها تريد أن تبحث المعرفة العلمية في نهج وممارسة وطرح علمي، وهذه وإن سبق للفلسفات التقليدية بحثها إلا أنها كانت في إطار متيافيزيقي أو وضعي وغيرها هيمنت على العلم والمعرفة لصالحها، لكن الايبستمولوجيا تحاول جاهدة التحرر من ربقة الأسئلة الفلسفية بغية تحديد موضوعاتها بدقة في سياقها المعرفي، وذلك لضبط ما تتناوله هذه المسألة من تحديداتها، وإن كان في الواقع لا توجد حدوداً فاصلة وقطعية بين كل المشكلات الفلسفية والعلمية، وقد كانت هناك مشكلات فلسفية أصبحت الآن مشكلات ذات طبيعة علمية بحتة وهي في نفس الوقت أصبحت مشكلات معرفية، وهي كذلك بالفعل وكانت – أي المعرفة – إلى عهد قريب مشكلة فلسفية فما عليها إذن إلاَّ أن تلتحم بفلسفة عامة أو أن تُفصل وتُعزل مشكلاتها لكي توجد لها حلولاً مستقلة بمعزل عن الطرح الفلسفي الكلاسيكي ولكن أي فلسفة؟ إنها الفلسفة العلمية التي تحاول أن تذهب معها وتسايرها في التطور لا التي تكبل طموحها وتحد من نشاطها[19].

هذا التساؤل الثاني هو ما تناسب والايبستمولوجيا ورؤيتها الرامية إلى فصل مشكلاتها عن الفلسفة، بغية إيجاد حلول لها وهو الطريق الذي سلكته ايبستمولوجيا العلوم الإنسانية في منهجها فصارت بفضل ذلك علوماً قائمة بذاتها[20]، وهي في كل ذلك لم تغفل تاريخ تطوره وتفاعله ليس لذاته ولكن للتحقق من فهم الذات وإثبات وتحقيق إمكاناتها، وتكمن فهم الذات فيما يتعلق بطبيعة العالم وتغيره لتحقيق تلك الإمكانية في فهم التطور والقدرات والحدود، ذلك لأنها تتلون بلون المرحلة العلمية المتواجدة فيها في سياق ذلك التطور والتجدد، وهي في هذا يمكن أن يقال أنها فلسفة علم وهذه هي طبيعتها العلمية، وأيضاً فلسفة لتلونها بالنسق الفلسفي في كل مرحلة تمر بها وهذا هو طابعها الأيدلوجي المنعكس عليها روح العصر وطبيعته[21]، وهذه المرحلة الأيدلوجية هي التي تم فيها استغلال العلم لصالحها[22] وهذا ما قيل عن فلاسفة العلم في محاولتهم تطبيق مفاهيم ميتافيزيقية على العلم، ولم تكن دراستهم وبحثهم في المعرفة إلا البحث عن تلك القضايا الميتافيزيقيا، لهذا جاءت نظرياتهم سابقة على العلم، كما أنهم نظروا إلى تاريخ العلم مثل: باقي التواريخ في تواصله وانسجامه، لا على أنه منقطع يحتوي على عوائق معرفية في بعض مناحيه بعثراته وانفصالاته كما أشار باشلار[23]، في مفهوم الايبستمولوجيا التي وإن كانت واضحة الصلة بفلسفة العلوم وتاريخ العلم إلا أنها لا تريد العلاقة بالأيدلوجيات ولا بالتاريخ المتصل.

فإذا كانت هذه هي النظرة إلى فلاسفة العلوم التي طبعت اشكالياتهم العامة الروح الوضعية التي قيل عنها أنها كانت صاحبة أول تفكير ايبستمولوجي، فهل هي كغيرها من فلسفات قيل إنها استغلت العلم

والمعرفة لصالحها؟ أو بالأحرى ما هو حال إلايبستمولوجيا عندها وهي التي تحاول أن لا تنتمي لفلسفات بعينها؟.

علاقتها بالمعرفة التقليدية : أما عن علاقتها بنظرية المعرفة في صورتها التقليدية وعلاقة الايبستمولوجيا بها فإنا نجد أن هناك في كل مذهب واتجاه فلسفي تصوراً معيناً عن المعرفة، التي تعتبر من أهم مشكلات الفلسفة إن تأملت المعرفة فيها كان خارج الشروط القبلية التي تضمن إمكانية المعرفة، فالحديث في تلك المذاهب عنها كان ضمن الإطار والنسق الفلسفي العام لكل اتجاه، وهي من ثم مترعرعة في كنفه تدور في فلك تفكيره الفلسفي مرتبطة ومتأثرة بما عنده من مشكلات، يضع حلولها في موضع الصدارة وغالباً ما يرى أن حلوله لتلك المشكلات نهائية فكانت المعرفة على ذلك أنها ذات عارفة دون النظر لما يكون عليه الموضوع المعروف عادي أو فلسفي أو علمي، فخضع موضوع المعرفة تبعاً لذلك لأغراض تباعد بينها الأهداف التي قد تكون دينية أو سياسية أو أخلاقية ذات صبغة أيدلوجية في مجملها، فانعكست على المعرفة أهداف المذهب وتوجيهه العام المحيط بها والخاص لآليتها ومباحثها فلم ينظر لكيفية إنتاج المعارف فيها أو العملية التي أنتجت عن طريقها وكانت الحلول المعرفية مسبقة في التجهيز مؤسسة البناء بعيدة عما كانت لها من واقع معرفي وهذا ما عناه (التوسير لويس Althusser Louis 1990م) في انتقاده النزعة الإختبارية وتأكيده على أن حلول المذاهب فرضتها مصالح عملية وأخلاقية وسياسية غريبة عن واقع المعرفة وأهدافها[24]، وفي ضوء هذا الطرح الأيدلوجي اتجهت نتائجها نحو التعميم في تصور عام عن المعرفة مما أدخلها في تناقض مع تطور المعرفة العلمية وحركتها السريعة الدائبة وملاحقة التطور العلمي ذاته هذا من جهة، ومن ناحية أخرى إلى (تفسخ موضوعي للنظريات الفلسفية في المعرفة كما وقع في حالة نظرية المعرفة (الكانتية) إزاء التطورات العلمية المعاصرة)[25].
على هذا يفهم أن المعرفة في صياغتها التقليدية لم تراع لذات المعرفة، لكونها قد استغلت من الفيلسوف الذي كان يطلب من المعرفة والعلم تأييد منحاه وتقوية منهجه العقلي ولم يؤخذ على عاتقه مستند التحليل لتلك المفاهيم، فما كان من المعرفة إلا أن ظلت حبيسة ذلك التيار وتضل طريقها من فرط الهيمنة عليها أي هيمنة الفلسفة على العلم وفهمها له أيدلوجيا لغرض استخلاص فلسفة مطلقة ونهائية من نظريات علمية متجددة[26].
وهذا أمر دلل عليه أهل البحث من حقب زمنية متباعدة لغرض الوصول منها إلى أن المعرفة كانت مهيمن عليها بالفعل من النسق الفلسفي العام وظلت حبيسة ذلك التيار تدور في فلكه، وأن الايبستمولوجيا في إطارها الحديث كما أريد لها هي غير المعرفة التقليدية السالفة المهيمن عليها، وإن كانت في الواقع

ليست بديلاً عنها كلية، لهذا اعتبرت عند(افلاطون Plato 348 ق.م) أنها سلبت العلم واقعه الحقيقي في جعله خارجاً عنها، ذلك لأن العلم سار في اتجاه معاكس لما رسمه التاريخ الفعلي للعلم مع نهضته الحديثة الذي عد أن من التناقض جعل العلم في غير مقدور البشر، وفي أنها لم تكن متوجهة للمعرفة العلمية مباشرة بل إلى الميتافيزيقا، وهكذا كانت مع (ديكارت Descarte 1650 م) مشيراً إلى أن عملية التأسيس المعرفي العلمي تمت من خارج العلم مما شكل التدخل الفلسفي تدخلاً متعالياً ومتأخراً عنه لكونه كان مشدوداً إلى الميتافيزيقا فأفسح المجال للهيمنة على العلم، فجعل هدف المعرفة العلمية تحقيق متطلبات الكنيسة، ولم تستجب لحاجة الممارسة العلمية الدقيقة لهذا قيل إن الفلسفة الديكارتية انقلبت من دور المحفز للعلم إلى دور العائق ، أما (ايمانويل كنت Kant 1804 م) الذي ارتبطت فلسفته بالمعرفة العلمية الكبيرة التي شهدها عصره مع تقدم العلم الطبيعي محاولاً تبرير فشل الميتافيزيقا في تأثر بالتجريبية التي ضمنها فلسفته ، فإنه رغم عدم شكه في صحة العلوم فإن تأمله النقدي آل على نفسه تحليل شروط إمكان العلم واعتباره مجالاً قائماً بذاته وارتقى بتلك الشروط إلى أن تكون مطلقة، فإن معرفته اعتبرت محاولة لإقامة نظرية عامة في المعرفة وأنها لم تأت لتأسيس العلوم أو لخدمتها وإنما لإنشاء ميتافيزيقا منحت العقل البشري طموحاً في معرفة المطلق دون التعرض لمناقضة المعرفة العلمية، كما أنه حد من العلم ليفسح المجال للإيمان في حماية للشباب من الإلحاد دفاعاً عن المجتمع من انعكاس الثورة العلمية والاجتماعية في القرن الثامن عشر، وهو وإن كان اهتمامه كبيراً بالجانب العلمي لا يوازيه اهتمام فلسفة أخرى به إلا أنه لم يعط ما تنظر إليه الابيستمولوجيا من طموح[27].

وهكذا يتضح مما مر من أن المعرفة في ضوء الفلسفة السابقة (–افلاطون ، ديكارت ، كنت –)[28] قيل أنه كان مهيمناً عليها لصالح النسق الفلسفي نفسه، وما محاولة التعرف على العلم عندها إلا التعرف على نفسها، فكانت النظرة إليه نظرة نفعية وتأسيس لها وليس لمبادئ العلم لذاته، وبهذا اتخذت المعرفة أخذاً نفعياً منفعة خارجية ومفاهيم بعيدة عنها، ولم يكن فهم العلم في المعرفة إلا فهماً أيدلوجياً، ومن ثم أقيمت الشروط لها والمؤسسة بناءاً على أمور ميتافيزيقية أو سياسية أو أخلاقية أو اجتماعية ودينية في بعض مناحيها وغيرها، وما محاولة الاتجاهات الفلسفية من وضع المعرفة العلمية في مكانها اللائق إلا لتنصّب من نفسها حكماً على رأس مؤسسة تشريعية ترسم وتخطط للعلوم قوانينها وأهدافها بما أعطته لنفسها من حق لذلك التشريع والتوجيه[29]، مما جعل من حق تلك المؤسسة صياغة النظر في العلم واحتواء نتائجه واستغلالها لصالح الأنساق الفلسفية وتبرير توجهاتها، هذه التبريرية أخرجتها في كثير من الأحيان عن نطاق الممارسة العلمية[30].

الايبستمولوجيا البلاشلارية : وهذا ما جعل (باشلار) ينقد بفلسفته المفتوحة فيها الذات العارفة و ما يؤثر فيها من الموضوع المعروف والموقف المثالي حين أعطى الأسبقية للذات من حيث هي فكرة، وفي كون وجود العالم مصاحباً لتمثله(31)، وبتجاوزه هذا نراه ينتقد معرفة الفيلسوف ليضع مكانها معرفة العالم وصولاً إلى المعرفة العلمية أو الايبستمولوجيا كما يتصورها فيذكر أن الفيلسوف يجد حقائقه الأولى بيسر ولا تزعجه الاظطرابات والتباين فيقوم حيالها إما بالتجاهل أو التكديس، وبذا يصبح مهيأ في موضوع العلم لتنمية فلسفة واضحة في كلتا الحالتين لكنها في نظر العالم تخرج المعرفة من الجهالة كما يخرج النور من الظلمة، فهو يرى أن الجهالة نسيج من الأخطاء الوضعية المتلازمة ومن ثم يلزم منه التصويت على مستوى الخطأ الذاتي ولا يمكن للعقل العلمي أن يتكون إلا وهو يحطم العقل غير العلمي، وهو في الغالب يستوثق بعلم تربوي مجزأ ويفترض على العقل العلمي أن يقوم بإصلاح ذاتي وشامل، وكل تقدم علمي حقيقي يستوجب انقلاباً وتحولاً وتطوراً في الفكر العلمي المعاصر مما يتعين تحولات وطفرات في أسس المعرفة ذاتها(32)، من هنا نرى أن (باشلار) وضع خطة عمل فيلسوف العلم أو الايبستمولوجي ومهامه الكامنة في إبراز القيم المعرفية الايبستمولوجية للعلم المبحوث مع التحليل النقدي للمعرفة الموضوعية وبحث أثر تطور المعارف على بنية الفكر وعلمه الدقيق بتاريخ العلوم ومتابعة نوعية العلم وما حدث فيه من تطور وانقطاعات، وتتبع الاكتشافات العلمية الجديدة بما في خصائص ونتائج الفكر العلمي الجديد وهي التي ينجز بفضلها الايبستمولوجيا، إذا ما أنجزها الايبستمولوجي وهي مهام فلسفية علمية حاول بها (باشلار) إلغاء الصراع القائم في ميدان الميتافيزيقا(33)، (وباشلار) يعتبر من رواد الايبستمولوجيا ومنضريها وصولاً منها إلى العقل العلمي الذي يتوجب أن يتصف به، ويكون عليه الايبستمولوجي الحديث في نظرته للعلوم والمعارف المتجددة بغية تطورها المستمر وعدم انكفائها تحت أنساق فلسفية بعينها تؤثر فيها وتوجهها، وينشد للعقل العلمي في سياق اهتمامه بالتحليل النفسي للمعرفة الموضوعية من أن هذا العقل لابد وأن يمر بمراحل ثلاث(34) : الحالة الملموسة التي يهتم بها العقل في الصور الأولى للظاهرة معتمداً على أدبيات فلسفية تمجد الطبيعة وتهتم بوحدة العالم وتنوعه الغني الحالة الثانية الملموسة المجردة : وهي ما يضيفه العقل إلى التجربة الفيزيائية الرسوم الهندسية مستنداً إلى فلسفة البساطة، والحالة الثالثة : المجردة التي يباشر العقل فيها معالجة المعلومات المأخوذة طوعاً عن حدس الميدان الواقعي والمنفصلة عن التجربة المباشرة، ولإستكمال هذه المراحل للعقل العلمي لابد من الإهتمام بالفوائد المختلفة التي تشكل بنوع ما ركيزتها الشعورية، من هذا كان لابد من الالتجاء للتحليل النفسي الذي نرغب في إدخاله في الثقافة الموضوعية المعرفية لتغير مواقع الإهتمام مع افتعال الملاحظة مركزين ومفترضين أن هناك عنصر ثبات، يدرس بعد دراسة كافية مع النظر في مراحل التكوين عن

التنزه عن الفرضية مع الصبر العلمي، لهذا وانطلاقاً من هذه السيكلوجيا العلمية لابد من ربطها بأحوال النفس الثلاث النفس العامية أو العادية والنفس المعلمة ثم النفس الواقعة في طور المعاناة من مصاعب التجربة والاكتئاة، على هذا تكون الفلسفة العلمية في وضوح بعد أن حدد فيها مهام العقل : التحليل النفساني لتفويض كل نفعية مهما كانت خافية ولفت نظر العقل الواقعي إلى الصنعى ومن الطبيعي إلى البشري ومن التخيل إلى التجريد[35]، كما يسوق (باشلار) التوجيه لبلوغ العقل العلمي الايبستمولوجي من تخطي هذا العقل لكل ما يكون من بادئ الرأي بل يتوجب هدمه وتجاوزه لأنه لا يمكن أن يقام عليه أي بيان أو معرفة، بل يعتبر من العوائق التي تحد من طموحه ليس هذا وحسب بل يجب أن لا تكون آراء عن قضايا لا نفهمها أو مسائل غير مصاغة صياغة واضحة وجلية، وإذا كانت المسائل في الحياة العلمية لا تطرح نفسها في الغالب فينبغي أن نتعلم كيفية طرح هذه المسائل والشعور بها شعوراً صادقاً وصحيحاً لأن هذا هو ما يشكل الصفة الأساسية للفكر العلمي الصحيح[36].

العوائق والقطيعة الايبستمولوجية : وأبرز ما قننه (باشلار) في مجال الايبستمولوجيا العلمية التركيز على العوائق المعرفية Lopstacle Epistmologique والقطيعة الايبستمولوجية ولا يعني بالعوائق تلك الأسباب الخارجية مثل تركيب الظواهر وزوالها ولا إدانة ضعف الحواس أو العقل البشري، بل ما يتعلق بتوجه المعرفة من الداخل لا من الخارج الركود التباطئ الاظطراب النكوصي وغيرها، وهي أشياء تبحث في مفهوم الغرائز وأزمات العلم وثمرته والتطور التاريخي للعلم وما إلى ذلك[37].

هذا هو ما تصور (باشلار) عن تاريخ العلوم التي قد تصاب بنكوص وتعطيل وتوقف هذا من جهة أولى، وأنه من جهة ثانية فإن العلم والمعرفة عرفت فترات انتقال وقفزات، وبين الجهتين جدال بينت مرحلته الأولى العوائق المعرفية التي تصيب وتعرقل حالات العلم، أما في الوحدة الثانية فإنه يؤكد على مفهوم القطيعة الأيبستمولوجية[38] Larupture Epistemologique، والجدال هذا يأتي من (باشلار) على محور الاستمرارية التي يقف على الطرف منها (مايرسون Mayerson 1924م) : القائل بالاستمرارية على مستويين، الأول استمرار من التفكير العامي إلى العلمي و الثاني من المستوى العلمي الجديد المتطور وبين العلم القديم الأسبق منه، لكن (باشلار) الذي يؤكد على الطفرات والقفزات للعلم تجعله ينتقل منها إلى نظريات وأبحاث جديدة لا يمكن النظر إليها من وجهة نظر استمرارية بين السابق واللاحق فقط، وبقدر هذا التقدم فإنه مع هذه الجدة تتحقق هناك قطيعة بين هذا الفكر العلمي والمعرفة العامة حتى أنه يمكن القول : لم يعد من الممكن النظر إلى النظريات العلمية في جدتها المتطورة من خلال وجهة نظر المعرفة العامة، ويسير بهذه القطيعة على محورين، قطيعة أولى تكون بين المعرفة العلمية والمعرفة العامة، وثانية بين علم اليوم وعلم الأمس بين الفكر العلمي الجديد وعلم القرون السابقة

بين النظريات العلمية المعاصرة في الرياضيات والفيزياء وبين ما سبق فيها من قرون سابقة أي قطيعة تكمن في الفكر العلمي نفسه.

أما عن الجانب الأول فإنها اعتمدت على رفض دعوى الاستمرارية في المعرفة العامة وهذه اعتمد فيها (باشلار) على دعاوى عديدة توصل منها إلى أنه لابد من هذه القطيعة بين المعرفة العلمية والعامة، أما عن الثانية : فكانت تدور حول التركيز على الثورات التي قام فيها العقل الغربي بقفزات بمراجعة الهندسات اللا أقليدية والعلوم الرياضية والميكانيكية والنسبية والكوانتا في العلوم الفيزيائية وغيرها، لقيام فكر علمي أكثر شمولاً من خلال مراجعة أساسية للمفاهيم العلمية ذاتها، ويمكن إجمال الأسس التي انبنت عليها القطيعة في هذا الجانب على ثلاثة أولها : تكون القطيعة في هذا مع كل فرض أو نظرية تعلن قيام فكر علمي أكثر اشتمالاً، وهذا لا يعني إطلاقاً الإنفصال التام عما سبق من فكر علمي أو رفضه أو طرحه، بل يعني احتواء هذا العلم الجديد للسابق عنه كما في نسبية (انشتاين Einstein + 1955م) مع الفكر العلمي السابق عليها في الفيزياء فالميكانيكا النسبية القائمة على أساس من هذه النظرية، ليست انفصالاً عن الميكانيكا النيوتينية وهي في ذات الوقت ليست استمراراً لها حتى يفهم أنها تطور لها وحسب، وكذا الفيزياء الكوانتية ففي انتقالها نحو علم شمولي فهي لا تكمن في إثبات الخطأ في الفكر العلمي الكلاسيكي وقوانينه، بل هدفت إلى إبراز الحدود التي تكون فيها تلك الحدود صادقة من جهة وإلى وضع قوانين جديدة ذات واقع شمولي لها القوة والقدرة على تفسير الوقائع بصورة لم تستطعها القوانين السابقة، ثانيها : وهي تقوم أيضاً على مراجعة مفاهيم ونظريات العلم الكلاسيكي بما فيها التي نظر إليها فيه على أنها أوليات وهذا ما قدمته الهندسات اللا إقليدية التي لم تقم فقط على مصادرات جديدة فقط بل على مراجعة مفاهيم المكان والزمان وغيرها وكذا في الفيزياء وما قامت به النسبية من مراجعة لمفاهيم سابقة لا تحتاج لإطالة، أما المفهوم الثالث فيها : أنها تعني الإنتقال لفكر علمي أكثر تفتحاً وسعة وهو ما ينطبق مع الهندسات اللا إقليدية، فالحكم على الأنساق الثلاثة للهندسة لا يجب أن نحكم عليها في مجال مجرد فقط، لأن الأمر غير متعلق بواقعين مختلفين من العقلانية وبصورتين عن هذا المجال، بل الأمر يخص فكرين مجردين ونظامين مختلفين للعقلانية ومنهجين متغايرين في البحث، وهذا يصدق على القطيعتين اللتين تحققتا في العلوم الفيزيائية وكذا في النسبية فإن الكوانتا أعلنت عن قيام فكر علمي جديد متفتح يحيل مبدأ الحتمية والإحتمال باعتبار أن كلاً منهما يمثل العقلانية في جانب معين(39)، وإذا ما تحدث (باشلار) وغيره عن قطيعة ابيستمولوجية كالتي أحدثها (انشتاين، وماكس بلانك M.planc 1947م فهي قطيعة إلى علم (نيوتن Newton + 1727م وجاليليو Galileo + 1642م)

وإذا أشادوا بالقطيعة الأيبستمولوجية التي أحدثها جاليليو فهي في واقع الأمر قطيعة لعلم (أرسطو Aristotle 322 ق.م) (وانشتاين مع إقليدس Euelid 275 ق.م) [40].

وهكذا فإن (باشلار) قد أفسح أمام الايبستمولوجيا باب التجدد بعد أن أوضح العوائق التي قد تصيبها وما يلحق هذا المنهج من قطيعة، فأبرز مكامن الايبستمولوجيا التي تطبق بالتحليل النفسي للمعرفة الموضوعية فكانت هذه هي المهام التي يتوجب على الايبستمولوجي إنجازها لكي تدخل المعرفة مصاف العلمية الدقيقة المتجددة في استكشافاتها بخصائص العقل العلمي النابع منها ولها، وليس المهمين عليها وهكذا حاول إلغاء الصراع القائم في ميدان الميتافيزيقا[41] متوجهاً بها إلى فلسفة مفتوحة متطورة.

(وباشلار) لم يكن الوحيد الذي أخذ هذا الاتجاه الليبرالي في الفلسفة والغوص على الايبستمولوجيا في توجهاتها العلمية وانشطاراتها المتجددة الملتزمة بالعقلانية، بل ينتمي لهذا الاتجاه ذوي تخصصات عديدة ممن لهم أثر في الايبستمولوجيا وتقنيتها أشتهر منهم (باشلار) في الفيزياء و(فرديناند كونزرت Conziert 1975م) في الرياضة (وجان بياجيه) في علم النفس المعرفي (وكانغليم Kanghelim 1975م) في البيولوجيا (وروبير بلانشي R.blanchie 1975م) و(فنجشتين wittgenestien 1951م) و(التوسير 1990م) و(كارناب 1910م) (كافييس Cafiese) (برنشفيك) (ادنجتون) و(بوانكارية Poincare) وغيرهم كثير، وهم وإن شربوا من معين واحد وهو العلمية في إطارها الايبستمولوجي واختلفت تخصصاتهم فقد التقوا جميعهم في نصرة الباب المفتوح في فلسفة العلوم، وساهم كل بدوره فيها وكما علمنا من (باشلار) هذه الأساسيات التي أضافها في الايبستمولوجيا فقد أضاف لها (كونزرت) الأديونية Idoneism [42]، النسق الفلسفي الذي يعتمد أساساً على أن تكون المبادئ ونتائجها خاضعة للتجربة بكيفية مستمرة وبذا تكون تحت مجهر المراجعة والتعديل المتواصل، ومن علائقها الثنائية بين العلم والفلسفة وأن الأنساق الفلسفية هي علمية بدورها توخت العلم في صورته الدقيقة، وهي منطلقة من نظرية المعرفة إلا أن توجهها دقيقاً وعلمياً متطوراً تابع حركة العلوم، أفسح لها مجالاً واسعاً وكبيراً (ادنجتون Iddington 1944م) علم الفلك الفيزيائي موجداً علاقة وربط بين العلمين بناءً على الخبرة الحسية، واستخدام اللغة الرياضية والوقائع التجريبية استناداً إلى ما حققته العلوم في مجال المعرفة الإنسانية[43]، وهي مع كونها عقلية لإبراز شروطها الايبستمولوجية فإنه لابد من الوقوف على آثارها وعلائقها النفسية بجانب عدم إغفال أهمية البحوث المصاحبة، **فهي في سبيل كل ذلك تأكد على علاقتها الوثيقة بالعلوم الإنسانية مجتمعة وذلك لكي لا يتوجه إلى الذهن من خلال النظر إليها في الفيزياء والرياضة والبيولوجية وغيرها أنها لا تعنى إلا بالبحث العلمي البحت ولهذا كانت استفادتها من علم النفس كبيرة**[44].

ايبستمولوجية بياجيه : من هنا خرج (جان بياجيه J.piuget)بنقلة كبيرة في هذا المجال فإنه ربط الايبستمولوجيا بفرع آخر من فروع علم النفس و هو علم النفس التكويني Psychologie Genetique فكانت الايبستمولوجيا التكوينية Le Pistemologie Genetique كعلم إنساني خرج به بعد أن تفحص ما طرح حول المعرفة[45]، معتبرة أن المعرفة حالة قارة وليست عملية تطور مما جعلها تبعد عن المعرفة بحثاً دقيقاً وصحيحاً، فتوجه إلى تخليص الايبستمولوجيا من الحقل الفلسفي[46]، المحيط بها كما انفصلت عنها الكثير من العلوم، فهي إذاً مطالبة بتحقيق ذاتها مع تحديد موضوعها بدقة ولا يتم تمييزها كميدان علمي، أو وصفها على أنها علمية إلا من خلال تحديد موضوعها وكونها مضادة للفلسفة لأنها ليست مثل الفلسفة، لأن الايبستمولوجيا عندما تتناول المعرفة فهي لا تتناولها من حيث الماهية، وكان عليها لذلك من مجاوزة الإشكالية العامة التي أخذت المعرفة على أنها حالة قارة وواقع ثابت، ولم تنظر إليها على أنها ذات حالة سيرورية أفادته من تطور العلوم وفلسفتها، التي يعود لها الفضل في دفع هذه السيرورة وهذا ما لمسه في احتمالية (كورنو Curnot 1877م) ومناهجه الدالة على المراجعة والنظر للفكر على أنه متطور، (برانشفيك) واتباع (كنت) الجدد، في عدم إقرارهم بثبات العقل، وما في الدراسات البيولوجية والتاريخية والاجتماعية التي تستند إليها البنية[47]، لذلك هي تكتسب طابع الكمال وقابلية التحول والتنظيم الذاتي، كما أن النظر للعلوم – بوعي لعلوم عصره – وهي تتطور بشكل مبهر يدل أنها لم تكن في حالة ثبات واستقرار، لهذا يجب أن ينظر للعلم على أنه طريق مفتوح، والايبستمولوجيا على أنها ذات عارفة وموضوع معروف في حالة نمو وحركة، ومن هنا كانت الايبستمولوجيا تعتمد في بحثها نمو المعارف بانتقالها من معرفة لأخرى حتى تصل إلى معرفة غنية ثرية ومتكاملة، وفي بحثها وبحث آلياتها في منابعها الأولى لابد من سلوك سبيلين لذلك التحليل المنطقي، والتحليل التاريخي والتكويني، لهذا كان على الايبستمولوجيا التكوينية أن تكون ملزمة بالتعاون مع العلوم الرياضية الذي يضمن ربطها بالمنطق، وبين ميدان العلم التي تكون المعرفة العلمية موضع البحث، وكذا كان لها تعاون مع السيزنتيقا التي تضمن التعاون والاتصال بين علم النفس والمنطق، **من هنا كان لها كما يرى (بياجيه) أن تكون لها علائق وروابط مع علوم إنسانية عديدة، كالتاريخ واللسانيات مع تكامل البحث فيها مع أهل العلم المتخصصين**، الذي يمثل علمه مجال البحث الأيبستمولوجي، لهذا كان ما يميزها أنها علم يتداخل مع ميادين عديدة[48].

الايبستمولوجيا والعلوم الإنسانية : ومفهوم العلوم الإنسانية humanities يراها (لا لاند) إنها حديثة ولكنه يعم أكثر فأكثر للدلالة على ما كان متفقاً من قبل على تسميته العلوم الأخلاقية، يزداد تشديد هذا التعبير على السمات الممكن رصدها خارجياً لطريقة تصرف البشر وسلوكهم فردياً أو جماعياً، وتجدر الملاحظة أن العلوم الإنسانية ليست كل العلوم المختصة بالإنسان فمثلاً لا تسمي بهذا الأسم علوم التشريح Anatomy في مقابل علوم الطبيعة[49]، وهذا حق لأن العلوم الإنسانية لا تهتم بدراسة الإنسان إلا إذا كان موجوداً كما نري ذلك في تحديد (عبد الفتاح أمام) الذي اعتبر أن العلوم الإنسانية :– هي تلك العلوم التي تدرس الإنسان كإنسان له صفات مميزة وخاصة ، وبمعني آخر أنه يمكن دراسة الإنسان من خلال علم الحياة، إلا أنه في هذه الحالة لا يدرس بوصفه إنساناً و إنما يدرس بإعتباره إمتداداً لمملكتي النبات والحيوان، وبهذا لا يقال عن علم الحياة إنه علم أنساني بهذا الوصف الذي يدرس به علم النفس أو علم الإجتماع، وكذلك يمكن أن يدرس الإنسان من خلال علم الطبيعة، فيما لو درسنا سقوط إنسان من شاهق جبل فإننا سندرسه من خلال علاقته بالسرعة والجاذبية وغيرها، لأننا في هذه الحالة سندرسه بإعتباره جماداً (جسم مادي) تنطبق عليه علوم الطبيعة .

إذن العلوم الإنسانية هي التي تدرسه بوصفه موجوداً في تميز عن الجماد والحيوان بسمة خاصة، فهي تدرسه كإنسان ويمكن أن يذكر من هذه العلوم : علم النفس، علم الإجتماع، علم الاقتصاد، والتاريخ ...الخ[50]، التي كانت جلها متعلقة بالفلسفة فبدأت في الإنفصال عنها علماً تلو الآخر، وهي ذات الفترة التي لم يعد يفرق فيها بين العلم في مفهومه الدقيق الآني وبين لفظه العام، وبدأ الإنفصال والتفرق بين العلوم القائمة على الملاحظة والتجربة وبين العلوم التي تعتمد أساساً على العقل المجرد، ونستطيع القول أن العلوم الإنسانية في هذه الحقبة كانت تنتمي إلى العلم العام دون أن ينظر إليها بتفريق المفهوم (وحتى بدايات القرن التاسع عشر لم يكن أحد يفكر تفكيراً جدياً في فكرة العلوم الإنسانية والأخلاقية بالمعني الدقيق لمصطلح العلم) [51]، وهذا المصطلح المنبث من كلمة Seience بمعناها الراهن كان أول من استخدمها المجمع البريطاني لتقدم العلم الذي أنشئ عام 1831 م، كما يذكر ذلك (ميرز T. mers 2014م) في كتابه تاريخ الفكر الأوربي في القرن العشرين [52]، وبذا يمكن القول أنه من خلال هذا التداخل فإن العلوم الإنسانية قد ولدت من رحم الابستمولوجيا العلمية منذ منتصف القرن التاسع عشر الذي أشتهر بأنه (الميلاد الرسمي لكثير من فروع العلوم الإنسانية وعلى نفس أسس الابستمولوجيا العلمية آنذاك بمستوي طموحاتها وطبيعة مسلماتها وتأثير أستجاباتها للحدود والظروف المعرفية) [53]، وليس من الصحيح أخراج العلوم المعيارية والتنظيمية، فقه اللغة، والقانون، والشريعة، والنقد الأدبي والفني، وأنظمة المحاسبة والإدارة، عن دائرة العلوم الإنسانية كما أشارت (د.يمنى الخولي) في محاولة

تحديدها لمفهوم العلوم الإنسانية ، عندما اعتبرت أن هذا المصطلح يشير إلى الدراسات التي تستهدف الإحاطة المنهجية والوصفية والتفسيرية بالظواهر الإنسانية، كعلوم الإجتماع والنفس والانثوبولوجيا والجغرافيا ...الخ بفروعها العديدة وأبعدت أنطباقها على العلوم المعيارية السالفة بحجة أنها تخرج – عن مجال بحثها وعن مجال فلسفة العلوم بعامة – ، ولا تنفي أهميتها الحضارية الكبري بأن تطور اللسانيات واللغويات في القرن العشرين قد توغلت كثيراً داخل العلوم وأصبحت أصولاً له قد أنعكست على مسار العلوم الإنسانية فيما يعرف بالاتجاة البنيوي الهام، ولا ندري كيف ذلك وهي من العلوم المعيارية، والبنوية من الأصول العلمية للابيستمولوجيا الدقيقة ثم يتم إخراجها عن إطار العلوم الإنسانية، ولم يلمس لها من عذر إلا الخطة المنهجية لكتابها التي أقتصرت فيه على علمي الإجتماع وعلم النفس التي اعتبرتهما القطبان اللذان يحصران موضوعات وفروع العلوم الإنسانية، ولعل هذا أيضا سببه تضيق فكرة مصطلح العلم، لأن التقاليد الانجلوسكسونية وبجذور تعود إلى فترة عصر النهضة وقبلها، تضع مصطلح الإنسانيات humanities ليدل على الأداب والفنون والمسائل المعيارية والقيمية واتجاهات تفسير النصوص .. الخ، وكلها مسائل إعتبرتها مفارقة للعلم ولا يجب أن تختلط به، لهذا مالت إليهم بأستعمال مصطلحSocial sciences للدلالة على مجمل العلوم الإنسانية [54] وأراني أميل إلى الرأى الأغلب الذي أكدت عليه (د. علا أنور) في عدم التفريق بين العلم أو العلوم والعلوم الإنسانية من واقع أن الحركة في العلم إجتماعية، وأن العالم مندمج المجتمع ملتزم بالتاريخ فليس في وسعنا أن نقيم حاجزاً أخلاقيا بين العلم النظري المحض والعلم التطبيقي العملي[55]، ويؤكده (زكريا إبراهيم 1976م) بأنه ليس ثمة تفكير اً علمياً خالصاً بل هناك حركة علمية إجتماعية تحمل في طياتها نتائج معينة ودلالات خاصة وأثارا محدودة في الغالب فالعلم وبتأكيد (سارتون Sarton 1956 م) لم يتطور فى فراغ بمعزل عن المجتمع، فنحن غالباً ما نري تطور العلم والحكمة في إطارهما الإجتماعي، لأنه لا يمكن أن توجد حقيقة خارجة وما كان العلم ليستطيع النمو بدون المجتمع [56]، إذن العلوم الإنسانية لا تخرج عن نطاق العلم وتطبيقاته، وطالما أننا علمنا أن الابستمولوجيا هي المعرفة العلمية الدقيقة، وأنها تدرس المعرفة بتفصيل وبشكل نقدي لمختلف العلوم والأغراض أكثر مما تدرسها على صعيد وحدة الفكر، وهي التي تستعمل أصول فرضيات العلوم للدلالة على الدراسات البعدية للمفاهيم وكذا الدلالة على دراسة تطورها الواقعي والتاريخي، من هنا لا بد أن نزيح عن الفكر أن الايبستمولوجيا تختص فقط بالعلوم البحتة التطبيقية وهو الأمر الذي أكده باستمرار الايبستمولوجيين أنفسهم من خلال بحوثهم **في كل علم تناولوه بالنقد والتحليل كما كانت بحوث ،(باشلار وبلانشي ، وبياجيه) التي ارتبطت بصورة وثيقة وواضحة مع علم النفس[57]، لتبدد التخوف من ذلك ونأكد ارتباط الايبستمولوجيا بالعلوم الإنسانية**، متبطنة الفلسفة

العلمية متعاونة على حل مشاكلها والإستفادة من طروحاتها ومناهجها، وأكد كل من (باشلار وبياجيه) على تاريخية المعرفة وأنها في تطور مستمر مستوعبة لحظات العوامل التاريخية التي تدخل العناصر في هذه التغيرات، في تأكيد أن هناك قول مستمر وتنظيم يعاود، وبذا أصبحت أبحاث الايبستمولوجيا تفيد في فهم أنماط التاريخ الأخرى كالفلسفي وغيره، ولذا كانت لها علاقة بتاريخ العلم وهو الأمر الذي أكد على أهميته أهمية كبيرة (باشلار) الذي يذكر : أنه ما من ايبستمولوجيا إلا وهي تاريخية[58]، كما ارتبطت بعلم الإجتماع أو علم الإجتماع المعرفي الباحث عن نمو وتطور المعرفة الجماعية التي اعتمدت الحس والتجربة والأحكام الجماعية في ارتباط بينها، وهو الأمر الذي أكده عالم الإجتماع المعرفي (ليفي برول L. Pruhl 1939 م) في بحث الاجتماع البدائي وكذا(بياجيه) في نمو الذكاء[59]، مرتبطة بالمنطق كذلك وهو الأمر الذي حدده بدقة بياجيه في قوله (تسعى الايبستمولوجيا إلى توضيح كيف يتمكن التفكير الإنساني الصحيح من إنتاج المعرفة ولكي نحقق ذلك علينا أن نقيم رباطاً معيناً بين المنطق والسيكولوجيا) وكذا ينبغي أن (نتعامل مع المنطق والسيكولوجيا معاً ولذلك ينبغي أخذهما في الاعتبار)[60]، وهي نفس العلاقة التي تمت مع اللغة واللغة بالمنطق وبها تأثيراً وتأثراً، **لهذا فإن ارتباطها بالعلوم الإنسانية وثيق الصلة وارتبطت بها مستفيدة من بحوثها ونقدها وتحليلها وترتيبها وبيان عوائقها وانقطاعاتها ومجالها السيكولوجي وغيرها، من مناهج ورؤية نقدية تاريخية في أعم صورها المحدثة، وتأثرت هي لبلوغ غاياتها وتحقيق أهدافها فهي كما يذكر بلانشي (تقدم العلوم الإنسانية بوصفها علوماً إلى الايبستمولوجيا أحد جوانب موضوع بحثها فعلاقة الايبستمولوجيا بهذه العلوم هي نفس العلاقة التي تربط بينها وبين العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية)[61].**

وإذا ما علمنا هذه العلاقة بعد أن تبين لنا ما هي الايبستمولوجيا؟ فما أحوجنا ونحن بصدد العلاقة بين الايبستمولوجيا والدراسات الإنسانية وبعد استيعاب الايبستمولوجيا بحدودها وأبعادها إلى العلوم الإنسانية في محاولة وضع آلية الابستمولوجيا ومفاهيمها العلمية وأسقاطها على العلوم الإنسانية، في محاولة دفع توهم أن تقوم العلوم الإنسانية وتتم بمعزل عن العلوم الطبيعية، أو أن العلوم الإنسانية عاجزة عن تحقيق التقدم الذي أحرزته العلوم الطبيعية مما شكل موضوعاً مؤرقاً للباحثين، وهو الأمر الذي أستشعره مبكراً (دلتاي wdithey 1911 م)، حين رآى أن التقدم أصاب العلوم الطبيعية بينما أصيبت العلوم الإنسانية بعجز نسبي سبب لها مشكلة حددها في أمرين : أولها أن العلوم الإنسانية كان يعوقها تصور واضح ومتفق عليه على تحديد أهدافها ومناهجها المشتركة بالمقارنة بما لدى العلوم الطبيعية، والثانية هي أن العلوم الطبيعية تتزايد منازلتها ومكانتها في نمو واطراد مستمر يترسخ في الرأى العام كمثل أعلى للمعرفة لا يتلائم والعلوم الإنسانية، لذا رفض موقف المثاليين والتجربيين وأخذ على نفسه تأسيس العلوم الإنسانية

على نحو أكثر نسقية ومنهجية أعلى، على أعتبار أنها شديدة التباين فيما بينها من حيث المنهج والتطبيق عن العلم التطبيقي، ومن حيث أنها نسبية متغير ة حسب الأنماط والايقاعات التاريخية للمسافات التاريخية والثقافية، وبهذا كان له تأثير كبير على الدراسات التاريخية بحيث أصبح المؤرخين في حل عن تحقيق السمة العلمية الدقيقة في أبحاثهم [62]، معني هذا أن العلوم الإنسانية قابلة لتطعيم مناهجها بالتيار العلمي إذا ما علمنا وعلى نطاق أكثر أن أول من نادى بإخضاع العلوم الإنسانية للعلوم التجريبية هو(جون أستوارت ملj.mill 1873م)، الذي أخلص في دفاعه المنطقي المنهجي متعرضاً في كتابه (نسق المنطق) وفي جزئه السادس تحديداً لمنطق العلوم الإجتماعية والإنسانية، ودعا إلى مضاعفة الجهود لتأسيسها تماماً كعلوم الطبيعية، وهي نفس الدعوة التي لاقت عند (أوجست كونت) صديقه الشخصي استجابة قوية فأنجز مشروعه العلمي الكبير في تأسيس على أن المعرفة بالمجتمع هي في الواقع نتاج المعرفة العلمية [63].

ولا أخال ما أشرنا إليه في العلاقة بين الابستمولوجيا والعلوم الإنسانية إلا بياناً لهذا الطريق الذي تستطيع هذه العلوم أن تستقبل مبادئ تقدم العلوم وآليه الابستمولوجيا الدقيقة حين أرتبطت عند كل من (باشلار وبياجيه) بتاريخ العلم والابستمولوجيا مستفيدة من النقد والتحليل، فحلت مشاكلها واستفادت من أطروحاتها فاستوعبت لحظات العوامل التاريخية، وقوت فهم أنماط التاريخ الفلسفي وارتبطت بتاريخ العلم والاجتماع وعلم النفس ، فاستفادت هذه الأخيرة من المعرفة التي أعتمدت على الحس والتجربة والأحكام الجماعية وارتبطت بالمنطق والسيكلوجيا فاستفاد علم النفس المعرفي منها كثيرا، وكذا اللغة، كما استفادت من الانقطاعات الابستمولوجية والعوائق ومضانها وتأكدت علاقتها بالعلوم الرياضية والعلوم الطبيعية كما أكد ذلك (بلانشى) وغيره، وحتى لوخرجت آراء تذكر أنه ليس في الإمكان تطبيق مناهج العلوم التطبيقية، وأن ذلك من المتعذر وهم (اللاطبيعين) باعتبار أن علوم الإنسان محور دراستها الإنسان، و لايستقيم تطبيق مناهج عليه من التي تدرس الجمادات، ولكن أصبح الرأى الأغلب هو رأى (الطبيعين) الذين يرون ضرورة تطبيق مناهج العلوم الطبيعية عليها سواء بسواء، باعتماد أن أى علم لا يسمى علماً إلا إذا أخذ بالمنهج العلمي، وهو الذي يعتمد على المشاهدة وإجراء التجارب، قصد الوصول منها إلى قوانين نستطيع بواسطتها التحكم في الظاهرة والتنبؤ بوقوعها وتفسيرها [64]، ومع أختلاف العلوم الإنسانية عن الطبيعية وأتساقها مع مناهج قد تتغاير في بعض مناحيها عن مغايرتها لكنها لا شك ستستفيد منها بواقع ابستمولوجي معرفي علمي يمكن أن ينهض بها من رقادها، وإن كان تطبيق المنهج العلمي على العلوم الإنسانية – كما يصرح (زكي نجيب محمود 1993م) – أكثر صعوبة إلا أنه لا يجعله من الناحية المنطقية مستحيلاً [65] ويشير في موضع آخر وفي مأكداً على أن العلوم الإنسانية اقتصاد، علم نفس،

تحاول جاهدة أخذ ما استطاعت من مناهج العلوم المتقدمة التي من أركانها المنهجية إحلال فكرة القانون محل السببية فلا يكون البحث عن شئ يعد سبباً لشئ آخر بل يكون البحث عن دالة رياضية تبين العلاقة بين مجموعة من المتغيرات [66].

إن ما تعطيه الابستمولوجيا للعلوم الإنسانية حديث طويل ومتشعب ولكن ما لا يدرك كله فلا يترك كله، إذا ما نظرنا ولو بصورة جزئية لهذه العلوم وقد قطعت شوطاً في تحديد موضوعاتها وتقنين مناهجها وتعريف ظواهرها وتحديد مصطلحاتها وصياغة مفاهيمها، **على ضوء التطور المعرفي العلمي الابستمولوجي وقد أرست دعائم مناهجها وأساليبها كالتحليلات الرياضية مثلا الإقتصادية والمناهج الحصائية، والقياسات العددية، والوسائل الإمبرقية الإختبارية، والمقاييس السيكومترية، والسيومترية، والتجارب المعملية والميدانية، والعينات والإختبار، والإستبيان والكشوفات الإستباينة علاوة على الأساليب الدقيقة للتحليل والتنظيم والإستخلاص في إفادة المعطيات إلى آخر ما درّب عليه الابستمولوجينن في تخصصاتهم المختلفة، أفضت بالعلوم الإنسانية إلى مجالات عظيمة الشأن ولا زالت لا سيما بعد ظهور الحاسوب المسيطر على جمع هائل من العمليات الرياضية والاختبارية [67]،**

وكثيراً ما يستشهد بالرياضي العلمي (رسل Rusell 1970م) في أنه أوضح أن المنهج التجريبي كان في الفلك وأعظمها في العلوم الذرية لأن هذه العلوم تستلزم الرياضية التي لا تقل أهمية عن التجريب، فإن هناك علوم أنفرد فيها التجريب كعلم الحياة وعلوم البيولوجيا دون حاجة للرياضيات، كما أن هناك علوما كالاقتصاد وعلم النفس تعطي استدلالات رياضية وتنبؤات دقيقة كما في علم السكان الإنساني بطبيعته ولكونه فرعاً من فروع الجغرافيا به إجزاء متميزة بوجود الرياضة، لأنه كما يؤكد (ماشلوب Machlub 1962م) أن هناك أنساقا لا توجد في كثير من العلوم الطبيعية بينما توجد في العلوم الإنسانية في موضع واحد هو علم الإقتصاد، إذن إن صفة الدقة لا يمكن نسبتها إلى كل العلوم الطبيعية، كما لا يمكن رفضها بالنسبة لكل العلوم الإنسانية[68] كما أن المبدأ الحتمي الذي قرره العلماء وصل إلى إفتراض لا تجيزه الوقائع وأضحت الابستمولوجيا العلمية المعاصرة لا تجيزه، إنها بستمولوجيا لا حتمية لا تبحث عن التحديد الفردي الميكانيكي بل عن متوسطات الإحصاء وحساب الإحتمالات وهي تسود علوم الطبيعة الآن وباقي عليها أن تمنحه إلى العلوم الإنسانية، ولأقصى درجة ممكنة وهكذا وبسقوط المثل الحتمي وأصبح المبدأ اللاحتمي أساس التصور العلمي، سقطت معه الموضوعية الكلاسيكية التي أنكرت ولعهد طويل العامل الإنساني في عملية إكتساب المعارف، وإذا كان أسلوب المنهج ذاته فإن حساب الإحتمال والإحصاء أسلوب الابستمولوجيا الحديثة، فقط اسقطت المثال الإقليدي المفضي إلى نتائج يقينية بتحديدات الفردية، المستعصى على العلوم الإنسانية التي يناسبه تماماً الإحصاء كما هو مسلم به

حاليا [69]، **وطالما أن الإحصاء هو أسلوب الإحتمال وسمة النتائج فلن يكون هناك فارق كيفي بين العلوم الطبيعية والإنسانية، الفارق فقط في درجة التقدم**، وإن كان الإحصاء والإحتمال يلغيان افتراض الإطراد في موضوعهما، أو في الفروض يجعلانه يتخذ صورة المقدمات المحتملة المؤدية إلى النتائج المحتملة، فإن بهذا لا نصل لا في الفيزياء ولا في أى علم آخر طبيعي أو إنساني على السواء إلى موقف كلي واحد يكرر نفسه، **وكل ما يعوزنا من افتراض في الابستمولوجيا المعاصرة أن مقدمات الموقف عندما تكون متشابهة فإن المعقبات أيضا تكون متشابهة والنتيجة تقريبية في العلم الطبيعي والإنساني**، لهذا قال (بريثويث Brathwaite 1990م) أن التقدم الحديث في الفيزياء قد يعطي شحنة كبيرة وقوية لعلماء النفس، لأن النظريات الفيزيائية السائدة تدور حول أشياء لا يمكن تعريفها في حدود الخبرة، كما أن بساطة قوانينها واضحة فقط أمام الرياضيين وأهل الإحصاء، لهذا فإني أشعر أن علماء النفس يجب أن تتاح لهم فرصة وحرية أكبر لأنهم قد عرقلوا سابقاً، لهذا يجب أن يظل هذا العلم تجريبياً وأن تكون قوانيه مؤيدة بالوقائع وقابلة للأختبار التجريبي ثم التكذيب[70]، ولهذا كان علم النفس المعرفي التكويني على يد (بياجية) من أكثر العلوم الإنسانية استفادت من الابستمولوجيا وتطورها، **كما أننا لا نشك أطلاقاً أن الابستمولوجيا تعطي أكثر وبمزيد من القوة العلمية للعلوم الإنسانية بالتفسير والتنبؤ، لأنه لا يقال أن هذا العلم دقيقاً عن الأخر إلا أذا قدم التفسير والتنبؤ بطريقة معقولة وأيضا بطريقة محددة للمفاهيم المستخدمة**، ويظهر الإستنتاج بناء عليها عن طريق أستخلاص منطقي لأن البناء الصوري للتفسير هو نفسه في تنبأ لابتنائهما على المنطق ، ففيها شروط مسبقة، تقريرات، وقوانين، ونتائج مستنبطة، وكلاهما يقوم على السؤال المثار تفسيراً أو تبنؤاً وهذا ما أكده (كارل بوبر K.popper 1994م) كثيراً بأن الواقعة المحتاجة إلى تفسير هي التي نتكهن لها بالتقدير المعطى، وإذا اعتبرنا أن الشروط الأولية والقوانين معطاه من قبل فلا تحتاج لبحث وإنما تستخدم ولكن من أجل معلومات جديدة ومعني ذلك أننا بصدد تنبؤ [71].

ونري (هسرل Hussrel 1938 م) صاحب الفيمونولوجيا وهي علم الظواهر الذي يعتبر أن بقية العلوم تناولت الظواهر كعلم النفس مثلاً وكذا العلوم الطبيعية، وكذا التاريخ والعلوم الثقافية إلا أن التظاهراتية تناولتها جميعاً و أن علم النفس تجريبي وإن كان **كلاهما يأخذ بالتحليل، إن نقده للعلوم الإنسانية يقوم على الحاجة إلى إعادة تعريف لكل من موضوعات الدراسة والمناهج والتفسيرات الإجتماعية**، وبذا يتضح دفاعه عنها وجعلها من علوم الطبيعة والألوهية، فباستطاعتها التوصل إلى عمق الفلسفة التي لا تقدر عليه علوم الطبيعة، لأنها علوم الذاتية وهي علاقة الصدق، وبذا اعترف بوجود علم موضوعي للدراسات الإنسانية في مواجهة الدراسات التاريخية وأقر بوجود علم فينومولوجي قبلي للوجود، والعلم

الموضـوعي قائم على إمكانيـة بنـاء الجزء الوقـائعي بطريقـة رياضـيـة، وباعترافه بالسيكوفيزيقا والدراسات الإنسانية بشكل موضـوعي، نجده يعمل حدسيا بواسطة مناهج فيزيائية ورياضـة، إلا أنه جعل الأساس الأول في الدراسات الإنسانية الذاتية [72].

كما أننا نري في الاتجاه التحليلي الوظيفي في العلوم الاجتماعية يحاول أن يتبنى نوعا من التفسير في البيولوجيا وخاصة في الفسيولوجيا ويتمثل في تحليل البناء والعمليات الخاصة بإجزاء مختلفة في الجسم بهدف عرض الطريقة التي تحافظ على بعض الأنشطة المميزة وعلى خصائص الجسم على الرغم من التغيرات التي تقع في المحيط الخارجي أو الداخلي، بهذا لم يرى (ناجل Nagel 1985) أى اختلاف بين التفسيرات الوظيفية والتفسيرات الغائية، ومن هنا اعتبرت الوظيفة منهجا لتفسير الأحداث والأنشطة الإجتماعية وذلك عن طريق ذكر الوظيفة التي تؤديها[73]، كما أنا نري مصطلح الهرمنوتيقا، الذي يعتمد على أنـه نـوع من العلم أو مجال معرف قائم على مجموعة من القواعد التي تحكم تفسير النصـوص، تستخدم مصطلحات المنطق والفيزياء كمجال معرفي، فإنها أصبحت قادرة على أن تؤسس نفسها كنظرية فلسفية في عصرنا وتطرح بدورها مجالا فكريا ينظر للتفسير على أنه متعلق بالعلم الذي يطلب التفسير كضرورة معرفية، ففلاسفة العلم مثل (كارل بوبر Popper وتوماس كون T.Kun 1996م) نصحوا الجميع أن ينظروا إلى أن النظرية العلمية ما هي إلا تفسير يقرأ الواقع من جهة متطلبات البحث وسباق التاريخي بحيث لم يعد العلم محصورا في حدود وصف الوقائع فقط، بل يجب أن ينظم الواقع ويصوغها تصوريا، من هذا أسس (دلتاي) **منهجا في الهرمونيطقا على أساس تطبيق يظهر من خلاله استقلال العلوم الإنسانية عن العلوم الطبيعية، وطور هرمونيطقا (شلي ماخر Shlemacher 1834م) إلى منهج كلي في العلوم الإنسانية ، بحيث لم تعد العلوم الطبيعية تتميز على العلوم الإنسانية [74]**، وهكذا نجد البنيوية الابسمولوجية قد اعتمدها (بياجه) في علم النفس المعرفي كنسق للتحولات يحتوي على قوانين، وهي المحدده بثلاث خصائص : الكلية، والتحول، والظبط الذاتي، لتدخل في علم الاجتماع وعلم اللغة كمرحلة من مراحل التفسير، فانطلق بها (تشومسكي Chomsky) إلى نقد النمو التقليدي واللغويات السابقة عليه، واهتم بصفة خاصة بالتفسير فابرز وجه القصور في موقف النمو التقليدي من علم اللغة، **وبتطور البنوية أثرت وبشكل ملحوظ في مفاهيم العلوم الإجتماعية وتصوراتها خاصة علم الإجتماع والانتربولوجيا، ولم يكن (شتروس L.strauss 1908م) أول من تحدث عن البنيوية فقد سبق بعلماء اللغة، ولم يكن الأول الذي تحدث عنها في العلوم الإجتماعية، فقد كان قبله (التوسير Alihuset وليش Leach)، لكن أعماله أحدثت تأثيراً كبيراً في الفكر المعاصر وفي العلوم الإجتماعية والإنسانية بشكل خاص عما أعطاه مكانة مرموقة [75].**

وهكذا فإننا نلاحظ أن ما تطرحه الابستمولوجيا المعاصرة أدى إلى تقارب كبير بين منهج العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية [76]، كما أن هذه الأخيرة قد تقدمت في كثير من مناحيها العلمية وتخصصاتها على ضوء الابستمولوجيا ولا نقول إن كل ذلك في تقابل تام ولكن تبقى للعلوم الإنسانية في بعض مناحيها خاصيتها كما أن للعلوم الطبيعية كذلك، ولكن **الذي وصلنا إليه هو أن العلوم الإنسانية إذا ما أرادت أن تنهض وتتطور وتنافس نضيرتها الطبيعية فعليها تلمس الآلية الابستمولوجية الحديثة وتتثبث بها حتى تصل إلى المقصود،** لأن كل ما سبق لا زالت محاولات لمحاولة رفع العلوم الإنسانية من ركودها، فهل هذا فعلا ما قدمته المشاريع العربية المطروحة الآن التي استفادت في مشروعاتها من البنية والألية الابستمولوجية وتوظيفها في العلوم الإنسانية، وهي في مجملها وان كان بعضها قد قصرها على البحث الفلسفي أو التاريخي، أو اللغوي أو غيرها فإن ما يقدم على بعضها ينصب على الكل من باب أولي لأن الحقل المعرفي في العلوم الإنسانية واحد والمنهج متقارب والهدف متحد.

وإذا ما ألقينا نظرة ولو جزئية حول هذه المشاريع نجد أن مشروع (الجابري) يحتل الصدارة فقد إستلهم الابستمولوجيا بمعناها الدقيق وأسقطها على العلوم الإنسانية في دراسة التراث العربي الإسلامي الذي يشكل لب العلوم الإنسانية عندنا في إعادة قراءتها قراءة واعية، لتحتويه إحتواءاً علمياً وليس تراثياً عاطفيا، في قراءة معاصرة كما **تنتهجها الابستمولوجيا التفكيكية والبنيوية، معاصرة تحرص على جعل المقروء معاصرا لنفسه على صعيد الإشكالية والمحتوى المعرفي والمضمون الإيديولوجي بالنسبة لمحيطه الخاص، ثم جعل هذا المقروء معاصراً لنا على صعيد الفهم والمعقولية بالنسبة لقارئه حتي يسمح بتوظيفه كعلم إنساني،** فيدخل مجال اهتمامه ويعاد توظيفة وإعادة بنائه، إنها **قراءة تعتمد على فهم الخطاب وتحليله وعلى الفصل والوصل،** في خطوات منهجية نحو القراءة المعاصرة لنفسة ثم فصله عنا أى عن الذات، ثم المعاصر لنا ووصله بنا في بنيته العلمية، بعيداً عن القراءات عن الواعية وغير المنهجية الغارقة في الفهم الإنساني التراثي، وغير التاريخية وذات البعد الواحد، وبدل أن تكون وسيلة نهضوية للعلم كانت غاية منشودة، غرقت في النقد الايديولوجي الذي لا ينتج إى إيديولوجية، غياب المنهج يعني غياب الموضوعية، التي أدخلها في ذلك غياب الأساس المعرفي، **لا بد أن يتوجه فيها النقد إلى الإنتاج النظري (فعل العقل)** بهذا يمكن أن تكتسب الطريقة العلمية، وتفسح المجال لقراءة ابستمولوجية لفهمها **لا بد من النقد والنقد الموضوعي، لا معرفة ولا تقدم دون بحث العوائق المعرفية فيها** وهي التي تقف حجر عثرة في وجه رقيها، وبصّرتنا الابستمولوجيا بها مع **تحليل المفاهيم، وتفكيك المعطيات والآلية واللغة وتحديد المصطلحات، ومن ثم تركيبه وإعادة بنائها وتأسيسها، ولا بد من وضع القطيعة الابستمولوجية نصب العين،** قطيعة لا تنتمي إلى المفهوم اللغوي بل للواقع الابستمولوجي

العلمي، وليس في المفهوم الضيق الداعي لطرح العلم الإنساني التراثي، بل هي قفزة إلى الإمام تتناول الفعل العقلي منه ومن خلاله بمفاهيم وآليه وطريقة جديدة معالجة بواسطة أدوات ذهنية تعتمد على إشكاليات البحث، وفي الحقل المعرفي المراد والمصاغة من أجله ومن داخله، ليست قطيعة للماضي إنها مع اللاعلمي ليست مع التراث بل مع كون الإنسان تراثي، لا مع الإنسان الذي يكون له تراث، إنها بحث عن الهوية والأنا لكي يكون التراث أحد مقوماتنا الإساسية، **دراسة المجال الابستمولوجي يشحذ الإذهان ويقوي المنهج ويؤسس الدعائم العلمية لبناء وإعادة بناء العلم الإنساني في التراث وغيرها على أسس تقدمية صحيحة.**

تتم القراءة بفصل المقروء عن القاريء وصولاً للموضوعية، خطوة منهجية لإسترجاع الذات تفكيك وتشريح المادة، إنها رؤية منطلقة من ثلاثة مراحل : **ربط الموضوع والنص وفكر صاحب النص بالمجال التاريخي في أبعاده الثقافية والإجتماعية والسياسية والايديولوجية، وإختبار صحة البناء البنيوي وصولاً إلى الصحة، وإعادة القراءة تتم بالحدس والإستشراف لإختراق اللغة والمنطق لإفصاح ما لم يفصح عنه، والدفع بالبحث لمدى أوسع لإستخلاص نتائج حتمية للمنطلقات والتعرجات**، تقرأ المقدمات بنتائجها والماضي بمستقبله ويصبح المقروء معاصراً لنفسه ولقرائه ويكون الإنطلاق من وحدة الفكر وحدة الإشكالية وتاريخية الفكر والحقل المعرفي والمضمون الايديولوجي، ثم ربط المقروء مع قراءات أخري لوحدة الحقل المعرفي [77]، مبنية على منهجية دقيقة واضحة، عندها ستنهض العلوم الإنسانية في سياقها العام أو التراثي العربي الإسلامي الخاص.

ويتفق معه في الخصوص (حسن حنفي 2021م) الذي أفاض في (التراث والتجديد) عندما اقتصر على طرق التجديد بأن **أهمها وبدايتها منطق التجديد اللغوي** ويتم تجديدها بمعايير تتخطي اللغة التقليدية فأنها تكون مميزات اللغة الجديدة، **أن تكون عامة بل وأكثر درجات اللغة عموماً لتخاطب كل الأذهان، وأن تكون مفتوحة قابلة للتغير والتبدل** في مفاهيمها وفي معانيها أو حتى في وجودها أما بابقائه أو إلغائه كلية فهي ليست جامدة، **وان تكون لغة عقلية** لكي نتعامل معها في إيصال المعني، القطعية لا تعبر عن شئ، **وأن تكون لغة لها ما يقابلها في الحس والمشاهدة والتجربة** حتى يكون ضبط معانيها والرجوع إلى واقع واحد يكون محكما للمعاني ومرجعاً إذا تضاربت وتعارضت، أن **تكون لغة إنسانية لا تعبر إلا عن مقولة إنسانية كالنظر والعمل والظن، واليقين والقصد والفعل والزمان وغيرها، وكذلك تكون لغة عربية وليست مستعربة أو معربة** عن طريق النقل الصوتي للغات وألفاظ أجنبية بدعوة قصورها، **ثم في اللفظ والمعني والشئ**، من اللفظ التقليدي إلى لفظ جديد ومن المعنى الضمني إلى لفظ جديد ثم المشار إليه إلى لفظ جديد.

ومن هذا التحليل للبستمولوجيا نجد أنه يعطي قدرة هائلة على التعبير عن الإبانة و أعلى هذا التحليل المستفاد من الابستمولوجيا هو الشعور الذي هو أخص من الإنسان وأهم من العقل وأدق من القلب وأكثر حياداً من الوعي يكشف عن تحليل جديد موجود في العلوم الإنسانية والتراثية نفسها ويشملها **جميعاً**، فلسفة، لغة، علم كلام، أصول فقه، علوم دين، تاريخ، حضارة، إجتماع .. الخ، تحليل آخر يتعلق بالبيئة الثقافية لأن العلوم تنشأ في واقع معين له ظروفه وملابساته تؤدي إلى نوع معين من المادة العلمية التي تعكس المشاكل التي تعرضت لها هذه النشأة فتحدد بناء كل علم، كما أنه وصف العلم باعتباره علماً كليا يشمل كل العلوم، **وهكذا أرجع كل العلوم الإنسانية إلى مصدرها في الوحي ويكون الوحي بالتالي هو العلم الإنساني الشامل**[78].

ويتابع (طيب تيزيني 2019م) الغوص على العلوم الإنسانية من منطلق ابستمولوجيا وبمنهج تاريخي وآليه معرفية دقيقة، وهو وإن كان يولي اهتمامها للدراسات التاريخية وعلوم الفلسفة وأولى أهتماما خاصا بعلم الإجتماع، إلا أن **هذا المنهج ينسحب على كل العلوم الإنسانية، وذلك لأن المفاهيم والمقولات وخصوصاً بعضها تشكل أنظمة لا يمكن معالجتها بشكل شامل نسبي وعلمي حازم إلا إذا نظر إليها من خلال انتظام معرفي حتى ولو تم في علاقة بفروع علمية اخرى، إن المعالجة الدقيقة لواحد من تلك المفاهيم في نشوئه ومن خلال فترات تطوره أى في تاريخيته الجدلية، وكذا بمساعدة فروع المعرفة الأخري هي المخولة والقادرة على إكسابنا فهماً علميا شاملا لذلك المفهوم**، وأن عملية التشكيل والتطور ينبغي وكإستجابة لذلك المبدأ العلمي أن تردف وتعمق من خلال بحث تلك الركائز العلمية في تاريخيتها، **إن المنطق ينبغي أن يرى ويمارس في تاريخه والتاريخ في منطقه بشكل عضوي دقيق**، اللحظة المنطقية الجدلية في مفهوم ما تستنطق بشكل ادق عند بحثها في وحداتها العميقة مع تاريخها تاريخ المفهوم نفسه، **وهذه المسألة تظهر بشكل خاص في عصرنا الراهن بالنسبة إلى قضايا جديدة في العلوم الطبيعية والتكنولوجية والإجتماعية**، وليس نادراً أن نلقى مفاهيم (شكل، نظام، تقدم) بما يتعلق بمستوي تطور هذه المفاهيم، إن التاريخ والمنطق يكملان بعضهما [79].

كما يتابع في إطار هذه المشاريع المستفيدة من الإبستمولوجيا ومنهجيتها **لمعالجة العلوم الإنسانية وعلوم التراث من بينها بطريق منهجي مادي ديالكيتكي** (حسين مروه 1987م) في (النزعات المادية في الفلسفة العربية) وانسحب بها على الفكر العربي بعامة [80].

كما يتابعهم (على زيعور) في (فلسفة الحضارة) **بمنهجية ابستمولوجية عن الحضارة والتاريخ والإنثربولوجيا**، وهكذا نجد (دونيس) في (الثابت والمتحول) حين**كان تركيزه علىاللغة والآداب ثم امتداده بها إلى الثقافة بعامة** [82].

وهكذا ودون إطالة طالما أن المنهج واحد والسقاء متحد، **لنعلم أن الابستمولوجيا العلمية المعاصرة وبما أحدثته من أنقلاب في المنهج العلمي والآلية المعرفية قد قربت ورفعت وغذت العلوم الإنسانية و الإسلامية وطعمتها بالتوجه العلمي الذي يكفل لها الرقي والتقدم، كما أنها عملت على التقريب بينها وبين العلوم الطبيعية بصفة أفضل، وإذا ما أردنا أن نتقدم بالعلوم الإنسانية فما علينا إلا إستلهام آلية وقواعد وأطروحات ومفاهيم وأدوات الابستمولوجيا، وأن ندخل بها إلى عمق مناهجها وأفكارها لنعيد صياغتها وتقنين أفكارها وتحديد مفاهيمها وتنظيم مناهجها بما يتلاءم والعلمية المطلوبة بدل أن نتهمها بالقصور أو نتهم أنفسنا بالبعد عن العلمية والتقدم.**

وهكذا يحق لنا أن نوصي بالآتي :-

- لا بد من النظر إلى العلوم الإنسانية نظرة جديدة نظر تكرامة واهتمام بها ولها وللمشتغلين بها أيضا، علميا واجتماعيا ووظفيا وإعلاميا، وأن نرفع عنها صفة اللاعلامية أو الدونية عن غيرها من العلوم.
- لا تقوم الحضارات على رجل واحدة إنسانيا أو علميا فقط بل لابد من التكامل بيهما، وما أحوجنا في هذا من أستلهام مبادئ حضارتنا العربية الإسلامية الرائدة في المزاوجة بين العلمين.
- ضرورة العودة بعد التسلح بالابستمولوجيا العلمية المنهجية إلى مناهج وتآليف العلوم الإنسانية لإعادة قراءتها قراءة واعية ونعمل على الرفع من مستوي أدائها حتى نرتفع بها إلى مصاف العلمية والرقي.
- العلوم الإنسانية هي صنو الطبيعية والكثير من مناهج الأولى هي في الثانية وما هي إلا الرغبة في محاولة التغيير والرجوع بها إلى وضع الأمور في نصابها العلمية إلا ونراها قد تقدمت.
- العلوم الإنسانية قابلة وقادرة ولديها الرغبة في استيعاب كل الطروحات الابستمولوجيا العلمية إن صدق أهلها وكانت لديهم الرغبة الملحة في إصلاحها.
- دلت المشاريع المطروحة على أن الرفع من مستوي العلوم الإنسانية في ضوء الابستمولوجيا هو رفع للعلوم العربية الإسلامية من باب أولى وهذه كلها أصبحت في الإمكان واليسر والسهولة إن خلصت النية، وتسلحنا بالعلم أدواته المعرفية وأحسنا أستعمال هذه الإدوات.

***

المراجع والهوامش والتعليقات:

1- عن معجم اللغة العربية **المعجم الفلسفي** ، مصر الهيئة العامة للمطابع الأميرية 78م ، (ابستمولوجيا)ص1 وأنظر جميل صليبا **المعجم الفلسفي** بيروت 1971 م ،(ابيستمولوجيا) 1 : 33 .

2- Laland.a "**Vocabularie Teachniqu Critique De la Philosophie** "edti.9 eme. paris 1980 (Sociote Francaise De philosphie) V-I (art Epist emologie).

3- الميثودلوجيا فرع من المنطق ينصب على الدراسة والمنهج بوجه عام وعلى دراسة المناهج الخاصة للعلوم المختلفة ، النقد العلمي للمعرفة أما فلسفة العلوم فهي تهتم ببيان الروابط بين العلوم المختلفة ونشأة هذه العلوم وهي نظرة عامة وواسعة للعلم .

* أنظر مجمع اللغة العربية **المعجم الفلسفي** 196 ، (مناهج) وكذا نظمي سالم **المنطق الحديث وفلسفة العلوم والمناهج** ، مصر ، مؤسسة شباب الجامعة 92 م ، ص 19 ، 143 .

4- راجع الجابري محمد عابد ، **المدخل لفلسفة العلوم** المغرب ، دار النشر المغربية 75 م ، 1: 14 وأنظر بلانشي روبير المعرفة العلمية (الابيستمولوجيا)، ترجمة حسن عبد الحميد الكويت وكالة المطبوعات الجامعية 86 م ، ص 30 وكذا نظمي سالم **المنطق الحديث** 27 وبعد .

5- أشار حسن عبد الحميد في مقدمته لترجمة كتاب بلانشي **المعرفة العلمية** ص 8- 9 أن أكثر الناقدين لذلك هم (بلفال Belaval و كانغليم Canguillhm. وتحليله هذا اعتبر رغم أن لديه وضحاً نسبياً عنها فهو غير كافي للتحديد مما جعل الكثير يتهيب من تعريفها على كثرة المؤلفات فيها السبب الذي أرجعه البعض إلى أتساع الهوة بين الفلسفة والعلم .

6- Methods اليونانية تعني بوجه عام الوسيلة المحدودة الموصلة لغاية محدودة ، والمقصود هنا مناهج العلوم أو المنهج العلمي scintifique الخطة المنظمة التي يتبعها العالم ذهنية أو حسية بغية الوصول إلى حقيقتها والبرهنة عليها .

* راجع معجم اللغة **المعجم الفلسفي** 195 ، (منهج) ومراد وهبى **المعجم الفلسفي** ، مصر دار الثقافة ط3 ، 84 م ، ص 432 تحت المادة .

7- أنظر الجابري ، **مدخل إلى فلسفة العلوم** 1 : 19 وما يليها .

8- أنظر الجابري ، **مدخل لفلسفة العلوم** الموضع السابق ، وكذا بلانشي **الفلسفة العلمية** ، ص 70 ، 71 .

9- أنظر وقيدي محمد (**ما هي الإبيستمولوجيا**) المغرب ، دار المعارف ، ط2 ، 87 م ، ص 9 .

10- الجابري **مدخل إلى فلسفة العلوم** 1 : 21.

11- مفهوم فلسفة العلم عند المحدثين ، دراسة العلاقات بين العلم والمجتمع المنتمي إليه ووضع العلم في مكانه بين العلوم الإنسانية ، والميول لإنشاء فلسفة للطبيعة أعتماداً على النتائج التي يعطيها العلم مع التحليل المنطقي للغة العلم .

* أنظر الجابري **مدخل إلى فلسفة العلوم** 1 : 21. وقارن بما عند زكي نجيب محمود **المنطق الوضعي** مصر، الأنجلو 19- 1966 م – 2 : 38 ولعل هذا ما عناه مجمع اللغة في **المعجم الفلسفي** (بعلم العلم) ص 125 وانظر نظمي سالم المنطق الحديث ، ص 17 وما يليها.

12- راجع الجابري **مدخل إلى فلسفة العلوم** 1 : 22 . وبعدها ، وانظر كرم يوسف **تاريخ الفلسفة الحديثة** مصر ، دار المعارف 69 م ، ص 316 وبعد. وكذا بوخنسكي **تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوربا** ترجمة عبد الكريم الوافي ، نشر جامعة قاريونس (د.ت) ، ص 66 وبعد . وكارناب، ورشنيباخ موقف الوضعية المحدثة من الفلسفة ص 63 . عند ابن عبد العال ومحمد سبيلا ، دفاتر فلسفية رقم 1 (**التفكير الفلسفي**) المغرب دار توبقال ط1 ، 91 م .

13- لذا كانوا عرضة للنقد من باشلار في القطيعة الابيستمولوجيا والعوائق المعرفية.

14- راجع بتفصيل ابن عبد العال ، ويفوت سالم درس **الإبيستمولوجيا** ، المغرب دار توبقال 85 م ، ص 33 ، 43 وأنظر نصوص باشلار بين علم اليوم وعلم الأمس ، ص 8 وكذا التقدم العلمي ، سلسلة من الانفصالات ،ص 20 والتوسير نقد النزعة الاختبارية ص 17 ، عند عبد العال وسبيلا **المعرفة العلمية** سلسلة دفاتر فلسفية (3) المغرب ، دار توبقال ط1 ، 91 م .

15- أنظر وقيدي محمد **(ما هي الإبيستمولوجيا)** ، ص 14-15.

16- مقطتفات بتصرف عن باشلار ، مهام فلسفة العلوم ص 21 ، 24 ، 25 (مترجمة) عند وقيدي **في ماهي الابيستمولوجيا** ص 20 ، وبعدها، وانظر بنروبي **مصادر وتيارات الفلسفة المعاصر في فرنسا** ترجمة عبد الرحمن بدوي بيروت المؤسسة العربية للدراسات ط2 ، 80 م ، 1: 377 ما يليها .

17- عن ابن عبد العال ويفوت **درس الابيستمولوجيا** 14 ، وانظر باشلار جاستون **فلسفة الرفض** ترجمة خليل أحمد خليل بيروت دار الحداثة ط1 ، 85 م ، ص 12 .

18- راجع Lecourt .**D Lepistemologie Historique de. G. bashelard** , vrin 1974.p . 31.

19- انظر بباجية جان ، **الفلسفة التكوينية** ترجمة سيد نفادي ، مصر دار الثقافة ، 91 م ، ص 34 وبعد. وانظر كولبة أزفلد **المدخل إلى الفلسفة** ترجمة عفيفي ، مصر ط4 ، 61م ، ص 288 وما يليها . وكذا راندال وبوخلر **المدخل إلى الفلسفة** ترجمة ملحم قربان ، بيروت دار العلم للملايين 93 م . ص 113

وبعد ويفوت سالم **فلسفة العلم المعاصرة** ، بيروت دار الطليعة 86 م ، ص 26 وكذا بلانشي **المعرفة العلمية الابيستمولوجيا** 63 ومايليها.

20- أنظر وقيدي محمد **(ما هي الإبيستمولوجيا)** ، ص 62 ، 67 .

21- أنظر الجابري **مدخل إلى فلسفة العلـوم** 1 :59 وبن عبد العال ويفوت **درس الابيستمولوجيا** 67.

22- لهذا يؤكد (ريشنباخ :- أن الفلسفة العلمية تحاول أن تبتعد عن النزعة التاريخية وان المذاهب الفلسفية الجديدة (أى العلمية) لم تعد تنظر إلى الوراء لأن الاعتبارات التاريخية لن تفيدهم في شئ .

- راجع نصه عند سبيلا وابن عبد العال دفاتر فلسفية 1- ، **التفكير الفلسفي** ص 63.

23-أنظر ابن عبد العال ويفوت **درس الابيستمولوجيا** 33 ، 35 .

24- راجع نصه المترجم عن كتابه Lire le Capital ص 39 – 50 عند ابن عبد العال وسبيله دفاتر فلسفية رقم 3 **المعرفة العلمية** ص 17- 19. وانظر وقيدي **(ما هي الابيستمولوجيا)** ، 83 وما يليها.

25- وقيدي **(ما هي الابيستمولوجيا)** ص 84 ، وانظر بوخنسكي **تاريخ الفلسفة الحديثة في اوربا** 31 – 32 .

26- أنظر ابن عبد العال ويفوت **درس الابيستمولوجيا**، ص 19 .

27-أنظر عن ذلك وقيدي **ما هي الايبستمولوجيا** 87- 211 وابن عبد العال ويفوت **درس الايبستمولوجيا** 23-29، 135 ، 196 وحمادي بن جاء بالله دراسات فلسفية تونس الدار التونسية للنشر 83م . 35 ، 69 ، 87 ، 129 ، 145 ، 240 وبعد . وكريم متى **الفلسفة الحديثة** منشورات جامعة قاريونس (بنغازي) 74م ص 24 ، 85 ، 240 وبعد . وكرم يوسف تاريخ **الفلسفة الحديثة** مصر دار المعارف 66 م ، 19- 25 ، 57، 72 ، 80 ، 85 وكذلك الاستعانة بافلاطون الجمهورية تعريب حنا فاخوري ، بيروت دار التراث 68 م ، 116 ، 226 ، 229 ، 240 وغيرها ، وجنيفان رودس **ديكارت والعقلانية** ترجمة عبدة الحلو منشورات عويدات ط . رابعة 88 م ، 17 وبعد 37- 39 ، 90 ، 92 ، 105 ، وجان لاكروا **كنت والكانتية** ترجمة نسيب عبيد سلسلة ماذا أعرف (42) بيروت المطبعة البوليسية 77 م ، 10-14 و 20 وبعد ومواضع أخري ذات علاقة .

28- أنظر وقيدي **ما هي الايبستمولوجيا** ، ص 87 وبعدها .

29- أنظر بن عبد العال ويفوت **درس الايبستمولوجيا** 19 ، 23 .

30- راجع التوسير **تاريخ الفلسفة وتاريخ العلوم** ترجمته العربية عند عبد العال ، سبيلا دفاتر فلسفية (1) التفكير الفلسفي ص 69 وكذا في الموضوع انتفاء النزعة الاختبارية (التوسير) عند بن عبد العال سبيلا دفاتر فلسفية (3) **المعرفة العلمية** ص 17 ، 18 وأنظر نفس المصدر (هيبوليت) ، الايبستمولوجيا عند جاستون باشلار ص 7

31- أنظر وقيدي **فلسفة المعرفة عند باشلار** 29 وبعد وقارن بما عند باشلار **فلسفة الرفض** 9 وبعد.

32- باشلار فلسفة الرفض ص 10-11 اقتباس وتصرف.

33- أنظر وقيدي فلسفة المعرفة عند باشلار 106 مع كتاب باشلار فلسفة الرفض 12، 13 .

34- والجدير بالذكر ان باشلار قدر مراحل تطور العقل العلمي بثلاث مراحل حالة قبل العلمية (الكلاسيكية وبعض الجهود في القرون 16- 18) ومرحلة الحالة العلمية (نهضة القرن الثاني عشر والتاسع عشر وأوائل القرن العشرين) وعصر العقل العلمي الجديد (منذ 1905 م بنظرية أنشتين في النسبية) .

* أنظر باشلار جاستون **تكوين العقل العلمي** ترجمة خليل أحمد خليل بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ط رابعة 89 م ، ص 8.

35- راجع باشلار جاستون **تكوين العقل العلمي** ص 9 ،11 وأنظر له بين علم الأمس وعلم اليوم ، الترجمة العربية عند الجابري مدخل إلى **فلسفة العلوم** 2 : 359 .

36- رجعنا في ذلك معتمدين على نص باشلار (العلم مناهض لمبادئ الرأي) المترجم عند بن عبد العال سبيلا سلسلة دفاتر فلسفية رقم 3 ، **المعرفة العلمية** ص 19 .

37- أنظر باشلار العقل العلمي 14- 15.

38- وهي تعني الحد الفاصل بين المعرفة اليومية التلقائية التي يغلب عليها الطابع الأيدلوجي ومرحلة الصياغة النظرية للقواعد الأساسية والمبادئ العامة التي تجعل المعرفة معرفة علمية . وليس مفهوم القطيعة هو هذا الفاصل الزمني اللحظوي أو التغير السريع الذي ينتج عنه أمراً جديداً كل الجدة (لكنها مسار معقد متشابك الأطراف تنتج عنه مرحلة جديدة ومتميزة في تاريخ العلم) إنها فعل معرفي عقلي وهو نشاط يتم داخل المعرفة بواسطة مفاهيم وأدوات وداخل حقل معرفي معين فقد تبقي المعرفة هي هي ولكن تختلف طريقة معالجتها والأدوات والمفاهيم المعتمدة في هذه الإشكالية التي توجهها أو الحقل المعرفي التي تتم داخله وعندما يحصل الاختلاف لدرجة كبيرة لا يمكن بعدها الرجوع منها إلى الطريقة السابقة عندها تقول أن هناك قطيعة ايبستمولوجية .

راجع: *ART. Epistemologie . in. **Encyclopeadyia Universelis** , op, cit, p 372.

وكذا الجابري **نحن والتراث** بيروت المركز الثقافي العربي ط5 –1986م ،ص 20 وحسن عبد الحميد تقديمه عن الأيبستمولوجيا ص 37 لترجمة كتاب بلانشي **المعرفة العلمية.**

39- راجع بتوسع وقيدي **فلسفة المعرفة** عند جاستون باشلار (**مفهوم القطيعة الايبستمولوجيا**) 129وبعد. وأنظر عن التحاليل الايبستمولوجية كتطبيق لهذه القطيعة وتطور العلم ، الجابري **مدخل إلى فلسفة العلوم** 2: 157 السببية وبعد 201 الثورة الكوانتية ونصوص مترجمة 269 ، 275 ، 281 ، 315 ، 341 ، 351 . ونصوص باشلار 359 وبعدها وكذا **نظرية المعرفة العلمية** 137 وبعدها . وكذا خليل ياسين

مقدمة في الفلسفة المعاصرة منشورات جامعة بنغازي كلية الآداب ليبيا طبع دار الكتب بيروت 1970 م ، ص 151 وبعد 171 وما يليها 183 وبعد 203 وبعد.

40- أنظر الجابري **مدخل إلى فلسفة العلوم** 2 :12

41- أنظر وقيدي **ما هي الايبستمولوجيا** 106 وكذا باشلار جاستون **فلسفة الرفض** 42، 13 وغيرها وأنظر معه بلانشى **المعرفة العلمية** (النسخة العربية) ص 44.

42- وتعني الملائمة للهدف المرسوم أنظر الجابري **مدخل إلى فلسفة العلوم** 2 : 39 – 40 وروبير بلانشي المعرفة العلمية 65 .

43 – أنظر بلانشي **المعرفة العلمية** 65 وياسين خليل **مقدمة في الفلسفة المعاصرة** 204 – 208 و 214.

44- أنظر وقيدي **ما هي الايبستمولوجيا** 227 ، 240 وأنظر معه بلانشى **المعرفة العلمية** 74 وما يليها.

45- اعتبر أن عيوبها ترجع إلى أنها لم ينظر إليها في شكلها العلمي قضية تطور متسلسل ، وأنها خاضت في مسائل ميتافيزيقية واعتبرت أن الحقائق جاهزة ، كما اعتبرت أن المعارف العلمية متوقفة ومتحجرة.

* راجع ابن عبد العال ، يفوت **درس الايبستمولوجيا** 52 .

46 – أنظر عن موقف بياجيه من الفلسفة ومآخذه عليها ، بدوي **مدخل جديد إلى الفلسفة** 32 -35 .

47- أنظر أبو ريان محمد على مقدمته ص 9 لكتاب بياجيه جان **الايبستمولوجيا التكوينية** ، ترجمة السيد نفادي مصر ، دار الثقافة الجديدة 1991م.

48- أنظر وقيدي **ما هي الايبستمولوجيا** 240 وراجع كذلك بلانشى **الفلسفة العلمية (الايبستمولوجيا الإرتقائية)**. 74 -75.

49- راجع المادة عند لا لاند **موسوعة لا لاند الفلسفية** ، ترجمة خليل أحمد خليل ، وأحمد عويدات ، بيروت منشورات عويدات، مج 3: 12-24 .

50-أنظر إمام عبد الفتاح إمام **مدخل إلى الفلسفة** ، مصر دار الثقافة للطباعة والنشر 1972، ص 159 وإشار في موضع أخر إلى : علم الحياة والانثربولوجية وغيرها. أنظر عنده ص 78.

51-يمني طريف الخولي ، **مشكلة العلوم الإنسانية** مصر ، دار الثقافة للنشر 1990، ص 52 ،بإعتماد على دائرة المعارف الفلسفية .

52- راجع أمام عبد الفتاح ، **مدخل إلى الفلسفة** ص 77 .

53- يمني الخولي ، **مشكلة العلوم الإنسانية** ، ص 52 .

54- أنظر المصدر نفسه ، ص 9، 10 .

55- أنظر كتابها ، **التفسير في العلوم الإجتماعية** ، مصر دار الثقافة للنشر والتوزيع ، 1988.ص 16.

56–أنظر ، زكريا إبراهيم قيمة العلم بين النظرية والتطبيق ، بحث في **مجلة الفكر المعاصر** مصر عدد (10) فبراير 66م ، ص 28. وكذا سارتون ، تاريخ العلم ترجمة محمد خلف الله وآخرون ، مصر دار المعارف 57 م – 1: 26 .

57– أنظر عن علاقة الايبستمولوجيا بعلم النفس واستفادتها منها ، وقيدي **ما هي الايبستمولوجيا** 215 ، 223 ، 227 وما يليها وباشلار **العقل العلمي** 105 وبعد و 191 ومايليها ووقيدي أيضا **فلسفة المعرفة** عند باشلار 96 ، وبلانشي **المعرفة العلمية** 72 ، وسليم مريم **علم تكوين المعرفة** بيروت دار الإنماء العرب ط أولى 85 م 13 وبعد ، ومقدمة كتاب بياجيه **الايبستمولوجيا التكوينية** مقدمة أبو ريان ونفادي.

58– أنظر وقيدي **ما هي الايبستمولوجيا** 19 ، 252 وبياجيه **الايبستمولوجيا التكوينية** 35، 36 وابن عبد العال ويفوت **درس الايبستمولوجيا** 62 ، 67 ، 74 وكذا مقدمة حسن عبد الحميد لكتاب بلانشي **المعرفة العلمية (الايبستمولوجيا وتاريخ العلم**) 19 وكذا 69 ووقيدي **فلسفة المعرفة** عند باشلار 107.

59– أنظر وقيدي **ما هي الايبستمولوجيا** 248 – 249 وما بعدها . وسليم مريم **علم تكوين المعرفة** (القيم الاجتماعية وأوليات الفكر) 182 وبعد و 195 وما يليها.

60– بياجيه الايبستمولوجيا التكوينية 43 النصان.

61– بلانشي روبير **نظرية المعرفة العلمية** 55 . وأنظر ص 57 وانظر كذلك في هذا الإطار صفحات 59، 60 .

62– يمني الخولي ، **مشكلة العلوم الإنسانية** ، ص 48 – 49 .

63– أنظر المصدر نفسه ص 56 ، وباستفاظة يمني الخولي دراستها عن ستيوارت مل ، **مجلة التربية** ، الدوحة ، عدد 60 أغسطس ، 83 م . ص 81 وما يليها :

يبؤكد من أيضا :– أن هناك خلط لا شك فيه عند الذين يعتقدون أن أفكار وأحاسيس البشر ليست موضوعاً للعلم كما هو موجود بالنسبة لموضوعات الطبيعة ، فأي واقعة تحدث هي موضوعاً للعلم حتى لو لم تبينها الآن القوانين التي تحكمها .

* أنظرها عند علا أنور التفسير في **العلوم الإجتماعية** ، ص 33 .

64– أنظر عن ذلك أمام عبد الفتاح **مدخل إلى الفلسفة** (مشكلة العلوم الإنسانية) ص 160 وما يليها .

65– أنظر كتابه ، **المنطق الوضعي** (في فلسفة العلوم) مصر مكتبة الانجلو 1966م ، 2: 303 .

66– أنظر المصدر نفسه 2: 275 .

67– راجع بتوسع يمني الخولي **مشكلة العلوم الإنسانية** 57 ، 58 .

68– أنظر المصدر نفسه 80 ، 81.

69– أنظر المصدر نفسه ، صفحات 187، 188 ، 190.

70– راجع المصدر نفسه 193 – 195.

71- راجع عن ذلك علا أنور التفسير في العلوم الإجتماعية ، 24 ، 100 . وكذا ص 34 في تأكيد بوبر على أن العلوم الإجتماعية مقامة على تفسير التجارب ، وانه جزءاً من منهج التفسير عن طريق الإحالة والرد والفروض والأستنباط ، وهو منهج مألوف في العلوم الطبيعية .

وأنظر حول التفسير وعلاقته بالعلوم الإنسانية بناصر البعزاني التفسير والواقعية ، **مجلة كلية الآداب جامعة محمد الخامس** ، المغرب . سلسلة ندوات ومناظرات رقم (62) تحت عنوان التفسير والتأويل في العلم . 1997م، ص 89 وبعد .

72- راجع علا أنور **التفسير في العلوم الإجتماعية** 234 ، 249 وأنظر 251. التي فيها أن (شوتز 1959) وضح العلاقة بين مناهج ونظريات العلم الإجتماعي وأسس العلم التجريبي أي في الحياة اليومية ، وهي مساهمة في تطبيق أفكار (هسرل) على العلوم الإجتماعية .

73- راجع المصدر نفسه 283 ، 285 .

74- راجع سعيد توفيق في **ماهية اللغة وفلسفة التأويل** ، بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، ط1 ، 202 م ، ص 84 ، 88.

75- أنظر علا أنور **التفسير في العلوم الإجتماعية**، صفحات 300 ، 306 ، 311. ولا يجب أن ننسي أن البنيوية منهجاً ضم العلوم الاجتماعية والإنسانية والأنثروبولوجية وعلم الإجتماع، وعلم السياسة وعلم اللغة وعلم الاقتصاد ، وعلم النفس والتاريخ والفنون الجميلة .أنظر المصدر نفسه ص 310.

76- أنظر المبحث القيمي عند يمني الخولي **مشكلة العلوم الإنسانية** (الابيستمولوجيا المعاصرة والخروج من مشكلة العلوم الإنسانية) ص 181 وبعد . وكذا ص 201 وما يليها.

77- راجع بتفصيل محمد عابد الجابري **نحن والتراث** المغرب المركز الثقافي العربي ، ط5 ، 1986م، ص 11=30 . هذا وقد أفاض في الخصوص في كتب أخري أهمها تكوين العقل العربي المغرب المركز الثقافي ، ط4 ، 91 ، المقدمة وما يليها .

78- أنظر كتابه **التراث والتجديد** بيروت دار التنوير ط 1 ، 81 م ، ص 92 وبعدها و101 وما يليها.و لايخفي أننا أقتصرنا على بعض النقاط فلا فالمشروع متسع في مصنفاته .

97- أنظر له **مشروع رؤية جديدة للفكر العربي** دار دمشق ط5 ، 81 م ، ص 5 وما بعدها .

80- أنظر كتابه ، **النزعات المادية في الفلسفة الإسلامية** بيروت دار الآفاق ، ط 6 ،1988 م ، 1: 6 وبعدها.

81- أنظر كتابه **فلسفة الحضارة** بيروت مؤسسة عز الدين للطباعة 94 م ، ص 7 وبعد .

82- أنظر أدونيس على أحمد سعيد ، **الثابت والمتحول** بيروت دار العودة ، ط4 – 83 م- 1 : 17 وبعدها.